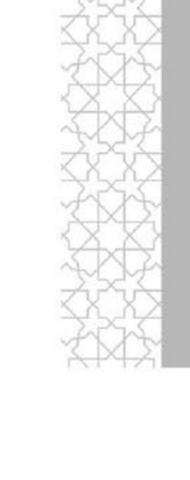
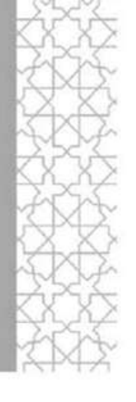
التُّحفة في أحكام الخُلّة

د. محمد بن إبراهيم العجلان
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



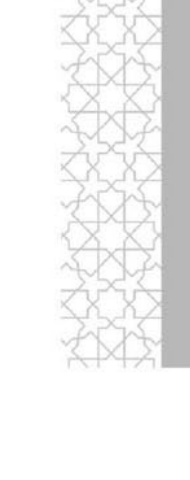


التُّحفة في أحكام الخُلّة

د. محمد بن إبراهيم العجلان
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

من أوائل المسائل التي خالف فيها أهل الأهواء والبدع صفة الخلة التي اختص الله بها إبراهيم ومحمداً – عليهما الصلاة والسلام – وأحسب أنّ بحث هذه المسألة والرد على منكريها، وإبطال حججهم وبيان تناقضهم من أهم المهمات . وقد إلى دعاني إلى لكتابة في هذا الموضوع أسباب: منها أنّ كثيراً من المسائل المهمة هي من ثمار بحث هذه المسألة، كحكم الخلة بالنسبة لله تعالى، وحكمها بالنسبة لإبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – وحكمها بين البشر، وغير ذلك من المسائل المتفرعة عنها. أيضا يرتبط بحث هذه المسألة بالسجل الحافل للخليلين، وما سطره القرآن الكريم عنهما، من صبر وحكمة، وإخلاص، وتعلق بالله تعلقاً لا مثيل له، وما تكبداه من محن ومشاق في سبيل إظهار هذا الدين ووحدانية رب العالمين . ومما حداني كذلك الحاجة إلى معرفة الفرق بين خلة الخالق وخلة المخلوق حيث يقع اللبس والخلط، وربما ينسب إلى معتقد أهل السنة والجماعة ما ليس فيه . وكذلك ما تضمنته بعض المصادر التي تتحدث عن الخلة من آثار وأخبار لا تسلم من مقال أو معارضة، وبحث هذا الموضوع يزيل مثل هذا الإشكال.



مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإنّ من أوائل المسائل التي خالف فيها أهل الأهواء والبدع صفة الخلة التي اختص الله بها إبراهيم ومحمداً -عليهما الصلاة والسلام-، ولأهمية بحث هذه المسألة ومُتعلقاتها فقد استعنت الله ﷻ على الكتابة فيها، ووسمته بـ: التحفة في أحكام الخلة.

والذي دعاني للكتابة فيه الأسباب التالية:

١- أنّ مقالة نفي صفة الخلة من أوائل المقالات التي ظهرت عند أهل البدع، ولذا فإني أحسب أنّ بحث هذه المسألة والرد على منكريها، وإبطال احتجاجهم وبيان تناقضهم من أهم المهمات.

٢- أنّ كثيراً من المسائل المهمة هي من ثمار بحث هذه المسألة، كحكم الخلة بالنسبة لله تعالى، وحكمها بالنسبة لإبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام- وحكمها بين البشر، وغير ذلك من المسائل المتفرعة عنها، والتي أرى أهمية بيانها وتوضيحها.

٣- بحث هذه المسألة يربط بالسجل الحافل للخليلين، وما سطره القرآن الكريم عنهما، من صبر وحكمة، وإخلاص، وتعلق بالله تعلقاً لا مثيل له، وما تكبداه من محن ومشاق في سبيل إظهار هذا الدين ووحدانية رب العالمين، والتوجه إليه بالعبادة وحده دون من سواه.

٤- الحاجة إلى معرفة الفرق بين خلة الخالق وخلة المخلوق حيث يقع اللبس والخلط، وربما ينسب إلى معتقد أهل السنة والجماعة ما ليس فيه، وعدم وضوح المسألة بالنسبة لكثير من الناس، واستيحاشهم من التسمية بالخلة ظناً منهم أن فيها مشاركة للخالق ﷻ.

٥- ما تضمنته بعض المصادر التي تتحدث عن الخلة من آثار وأخبار لا تسلم من مقال أو معارضة، وبحث هذا الموضوع يزيل مثل هذا الإشكال.

٦- أنّ هذا الموضوع على الرغم من أهميته لم يكتب فيه دراسة مستقلة فيما أعلم.

وأمّا خطة البحث فقد جاءت على النحو التالي:

- المقدمة.

- التمهيد في معنى الخلة واشتقاقاتها.

الفصل الأول: الخلة في حق الله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفة الخلة في حق الله تعالى، وأدلتها.

المبحث الثاني: المنكرون لصفة الخلة، والرد عليهم .

المبحث الثالث: إطلاق لفظ الخليل على الله تعالى.

الفصل الثاني : الخلة في حق إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : خلة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام-.

المبحث الثاني: خلة محمد ﷺ .

المبحث الثالث: الخلة أعلى مقامات المحبة.

الفصل الثالث : الخلة في حق الناس، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخلة بين الناس وأدلتها.

المبحث الثاني: الخلة النافعة والضارة.

- الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.

وقد سرت فيه وفق المنهج التالي:

١- مراعاة قواعد كتابة البحث العلمي.

٢- عزْو الآيات إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- الاستدلال بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن المصطفى ﷺ ، وقد يدعو المقام إلى الاستشهاد ببعض الروايات أو الأخبار التي تكلم فيها الأئمة، وإيرادي لها هو لبيانها، ودفع ما قد يتوهم من معارضتها لأصل المسألة، وأما ما يرد منها مؤيداً، فإنه على تقدير ثبوت صحته فإنها قرينة يعتضد بها لكن لا يعتمد عليها.

٤- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث، فإنْ كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا اجتهدت في تخريجها من مصادرها، والحكم عليها من خلال كلام أهل العلم ما أمكن.

٥- التعريف بما يرد في البحث من الألفاظ الغريبة والمصطلحات، والأماكن والفرق.

٦- توثيق النقول المقتبسة بعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٧- قد يرد في البحث بعض النقول التي استشهد بها، مع علمي أن قائلها ليس على مذهب أهل السنة والجماعة، ولكنّي أوردها لسلامتها وموافقتها للحق.

٨- استقراء مذاهب أهل العلم في المسألة ومناقشتها، والترجيح بينها، وفق منهج أهل السنة والجماعة.

٩- مراعاة الاختصار مع عدم الإخلال فيما هو من أصل البحث والذي يدور على أحكام الخلة المرتكزة على ثلاثة فصول كما في خطة البحث.

وأخيراً.. فقد بذلت في هذا البحث جَهدي، فما كان فيه من صواب فهو بفضل الله ومنته، وما كان خلاف ذلك فمن نفسي، وأستغفر الله منه، وجزى الله خيراً من رأى فيه اختلافاً فسدّده، وأسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

تمهيد:

معنى الخلة، واشتقاقاتها:

الخلة: تطلق على عدة على معان، فتطلق على المودة والصداقة والخصلة، وتطلق على الفُرجة، وعلى الطريق في الرمل، وعلى الخمرة الفاسدة وعلى بطانة جلد السيف، وكل جلد منقوش، وما ينقي من بين الأسنان، كما تطلق على مكان الإنسان الخالي منه بعد موته، وعلى بنت المخاض، والطعنة، وما كان حلوا من المرعى ونحو ذلك من المعاني التي يشملها لفظ (الخلة).

قال ابن فارس: "الخاء واللام أصل واحد يتقارب فروعه ومرجع ذلك إما إلى دقة أو فرجة، والباب في جميعها متقارب" [١].

ويمكن تصنيف هذه المعاني بحسب ضبط كلمة الخلة [٢]، فالضم تنطوي تحته معاني، وكذا الفتح، والكسر.

فالخلة – مثلا – بالضم المودة، وما كان حلوا من المرعى [٣]، وتكون بمعنى الصداقة والمحبة التي تخللت القلب، فصارت في باطنه [٤].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/١٥٥).

(٢) فالخلة بالفتح بمعنى الخصلة، وهي الحاجة والفقر، وتطلق على الاختلاف العارض للنفس، إما لشهوتها لشيء، أو حاجتها إليه.

والخلة بالكسر تطلق على المصادقة والإخاء، كما ذكر الكفوي، وابن منظور، وقد أشار إلى بعض هذه المعاني الأصبهاني فقال:" والخلة: الطريق في الرمل لتخلل الوعورة أي: الصعوبة إياه، أو لكون الطريق متخللا وسطه، والخلة – أيضا – الخمر الحامضة لتخلل الحموضة إياها، والخلة ما يغطى به جفن السيف لكونه في خلالها، والخلة الاختلال العارض للنفس إما لشهوتها لشيء، أو لحاجتها إليه، ولهذا فسر الخلة بالحاجة، والخصلة والخلة المودة " المفردات في غريب القرآن للراغب (١/١٥٣).

وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/٣٠١)، مقاييس اللغة (٢/١٥٥)، إكمال الأعلام بتثليث الكلام للطائي(١/١٩٨)، لسان العرب لابن منظور (١١/٢١٧)، مختار الصحاح (ص٧٩)، الكليات للكفوي لأبي البقاء (١/٤٣٣).

(٣) انظر: الكليات (١/٤٣٣).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٦/٣٠١)، لسان العرب (١١/٢١٧).

"فإن قال قائل: وما معنى الخلة التي أعطيها إبراهيم، قيل ذلك من إبراهيم –عليه السلام– العداوة في الله، والبغض فيه، والولاية في الله، والحب فيه على ما يعرف من معاني الخلة " [1].

فالخلة اصطلاحاً: هي كمال المحبة من العبد التي لا تقبل المشاركة، والمستلزمة منه كمال العبودية التي لا تصح إلا لله تعالى، ومن الرب ﷻ كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه [2].

أمّا خلة الله للخليلين: فمعناها معلومٌ وكيفيتها مجهولة، وقد ذكر بعض أهل العلم شيئاً من معانيها وآثارها ولوازمها .

قال الإمام الطبري: " الخلة ... من الله لإبراهيم فنصرته على من حاوله بسوء كالذي فعل به إذا أراده نمرود بما أراده به من الإحراق بالنار، فأنقذه منها وأعلى حجته عليه إذ حاجه وكما فعل ملك مصر إذ أراده عن أهله وتمكينه مما أحب وتصييره إماماً لمن بعده من عباده وقدوة لمن خلقه في طاعته وعبادته فذلك معنى مخالته إياه" [3].

وقال ابن حجر: الخلة بمعنى: النصرة والمعاونة والإحسان إليهما[4].

أمّا الخليل فهو: "الذي تخللت محبة خليله قلبه، فلم يكن فيه مسلك لغيره، كما قيل:

قـد تخللـت مـسلك الروحـى منـي   وبـــذا ســـمي الخليـــل خلـــيلاً

وقد قيل: إنه مأخوذ من الخليل، وهو الفقير مشتق من الخلة بالفتح، كما قيل:

وإن أتـــاه خليـــل يـــوم مـــسغبة   يقـــول لا غائـــب مـــالي ولا حـــرم

والصواب: أنه من الأول وهو مستلزم للثاني" [5].

---

(1) تفسير الطبري (٥/ ٢٩٧).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٠)، منهاج السنة لابن تيمية (٣٧٥/٧).

(3) تفسير الطبري (٥/ ٢٩٧). وانظر: فتح الباري (٤٥٥/١٠).

(4) انظر: فتح الباري (٤٥٥/١٠).

(5) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٦).

فكمال محبة الله، محبة عبودية وافتقار وذل وخضوع، بخلاف محبة الرب لعبده، فإنها محبة استغناء وإحسان.

والخليل كما يقول ابن حجر -رحمه الله-: " والخليل: فعيل بمعنى فاعل، وهو من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب، فصارت خلاله، وهذا صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إبراهيم من حب الله تعالى، وأمّا إطلاقه في حق الله تعالى فعلى سبيل المقابلة"[1].

وهذا الكلام فيه نظر، إذ أنّ أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على سبيل المقابلة والمشاكلة كما ذكر ذلك ابن حجر -رحمه الله-، و إثباتها لا يستلزم تشبيهاً ولا تمثيلاً، فهي من الصفات الفعلية الخاصة، وإنكارها مبنيٌ على أصلٍ فاسد هو إنكار الصفات الفعلية، وقد دلّت النصوص الصريحة على إثباتها على حقيقتها من غير أن يَرد فيها لفظٌ يُخرجها إلى المقابلة أو المشاكلة لا حقيقة ولا تقديراً[2].

* * *

قال الواحدي: فهذا القولان ذكرهما جميع أهل المعاني، والاختيار هو الأول. انظر: تهذيب الأسماء للنووي (٣/٩٢، ٩٣).

(١) فتح الباري (٦/٣٨٩).

(٢) للاستزادة في هذا الموضوع يُنظر إلى: دراسة عقدية لبعض الصفات التي يُدّعى أنها من باب المشاكلة للأستاذ الدكتور/ يوسف السعيد، (ص ٣٦-٣٧) ضمن مجلة جامعة الإمام العدد (٣٢).

الفصل الأول:الخلة في حق الله تعالى:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: صفة الخلة في حق لله تعالى، وأدلتها.

المبحث الثاني: المنكرون لصفة الخلة، والرد عليهم.

المبحث الثالث: إطلاق لفظ الخليل على الله تعالى.

المبحث الأول: الخلة في حق الله تعالى، وأدلتها:

الله – عز وجل – يتصف بالخلة،كما يليق بجلاله وعظمته، كسائر صفاته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1].

وقد دلّ الكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة على إثبات هذه الصفة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [2].

ومن السنة:

تواترت الأحاديث في إثبات صفة الخلة لله تعالى [3]، ومنها ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من غير وجه أن إبراهيم خير البرية، وأفضل الأنبياء بعد خاتمهم محمد ﷺ خليل الله، وما ثبت – أيضاً – من غير وجه أن محمدا ﷺ خليل الله، فمن ذلك ما أخرجه البخاري " أن معاذاً ﷺ لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [4] فقال رجل من القوم لقد قرت عين أم إبراهيم زاد معاذ عن شعبة عن حبيب عن سعيد عن

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٣) قال الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص١٩٣) حديث رقم: (٢٣١): " أورده في الأزهار [يعني السيوطي في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة] ... ونصّ على تواتره أيضاً الشيخ عبدالرؤف المناوي في التيسير والشيخ مرتضى في شرح الإحياء قائلاً: الحديث متواتر وقد رواه زهاء خمسة عشر من الصحابة".

وانظر: فيض القدير للمناوي (٥/ ٣٣٠) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣١١).

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٥.

عمرو أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقرأ معاذ في صلاة الصبح سورة النساء فلما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال رجل خلفه قرت عين أم إبراهيم "[1].

وما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول: لست هُنَاكُمْ، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُمْ، ويذكر خطيئته ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُمْ ويذكر خطيئته ائتوا موسى الذي كلمه الله ....) [2].

وما أخرجه مسلم عن جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) [3].

وما أخرجه عن أبي الأحوص قال: سمعت عبدالله بن مسعود يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله ، صاحبكم خليلاً) [4].

فهذه الأحاديث تدل دلالة صريحة وواضحة على اتخاذ الله عز وجل إبراهيم عليه السلام ومحمداً ﷺ خليلين، وهذا منصبٌ خاص بهما لا يقبل المشاركة بوجه من الوجوه.

وقد تضافرت أقوال السلف – رحمهم الله – على إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

فقد أخرج الإمام الطبري عن السدي قوله: "قام إبراهيم يدعو ربه يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ حتى أعلم أني خليلك ، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأني خليلك، يقول: تصدق، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بخُلُولَتِك "[5].

---

(1) صحيح البخاري حديث رقم: (٤٠٩١).

(2) صحيح البخاري حديث رقم: (٦١٩٧)، وصحيح مسلم حديث رقم: (١٩٣) وحديث رقم: (١٩٥).

(3) صحيح مسلم حديث رقم: (٥٣٢).

(4) المصدر السابق حديث رقم: (٢٣٨٣).

(5) تفسير الطبري (٣/ ٤٩).

وقد نقل الطبري عن سعيد بن جبير تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ قال: "أولم توقن بأني خليلك"[1].

ونقل عنه البغوي قوله: "ليطمئن قلبي إنك اتخذتني خليلاً وتجيبني إذا دعوتك"[2].

وقد نقل شيخ الإسلام -رحمه الله- قول الإمام أبو عبدالله محمد بن خفيف[3]: "ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى تكليماً واتخذ إبراهيم خليلاً..."[4].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "والخلة هي: كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب - سبحانه - كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه"[5].

---

(١) تفسير الطبري (٥١/٣).

(٢) تفسير البغوي (٢٤٧/١).

(٣) ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- أنّ ابن خفيف - عفا الله عنه- له من الحكايات ما يدل على أنه كان يذهب مذهب الإباحة. انظر: المنتظم (١١٢/٧)، تلبيس إبليس (ص٢١٢).

ولعله رجع عن مذهبه إلى مذهب أهل السنة والجماعة - في الجملة- لما يلي:

١- نقل شيخ الإسلام في الفتوى الحموية نقولاً مطولة من كتابه: اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات.

٢- تبرئة شيخ الإسلام له من هذا المذهب، فقال في الدرء التعارض (٥/٤-٥): "هذا وشيوخ التصوف المشهورون من أبرأ الناس من هذا المذهب وأبعدهم عنه، وأعظمهم نكيراً عليه، وعلى أهله، وللشيوخ المشهورين بالخير، كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي عثمان النيسابوري، **وأبي عبد الله بن خفيف الشيرازي، ويحيى بن معاذ الرازي وأمثالهم من الكلام في إثبات الصفات والذم للجهمية والحلولية ما لا يتسع هذا الموضع لعشره**".

٣- تزكية شيخ الإسلام -رحمه الله- له مع جملة من الأئمة الأعلام أهل الحق والإثبات فقال -رحمه الله- في الدرء: (٢٦٦/٦) "وأول من ظهر عنه قول النفاة هو الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وكانا في أوائل المائة الثانية فقتلهما المسلمون وأما سائر أئمة المسلمين مثل مالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم فالكتب مملوءة بالنقل عنهم لما يوافق قول أهل الإثبات، وكذلك شيوخ أهل الدين مثل الفضيل ابن عياض وبشر الحافي وأحمد بن أبي الحواري وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي والحارث المحاسبي، **ومحمد بن خفيف الشيرازي** وغير هؤلاء".

٤- ثناء الأئمة عليه ومن ذلك قول الذهبي عنه - وهو الإمام في نقد الرجال، ومعرفة أحوالهم جرحاً وتعديلاً: "قد جمع بين العلم والعمل وعلو السند والتمسك بالسنن ومتع بطول العمر في الطاعة" سير أعلام النبلاء (٣٤٦/١٦-٣٤٧).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى (ص٤٤١).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٠).

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: " والخلة هي كمال المحبة، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة، وكان قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار[1] الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه بذبحه ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله وظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد، إيثاراً لمحبة خليله على محبته نسخ الله ذلك عنه وفداه بالذبح العظيم " [2].

ومما تقدّم يتضح أن الخلة لا تقبل المشاركة والمزاحمة من المخلوق للخالق تعالى؛ فالخلة تتضمن تعلق القلب كله بربه، وليس فيه شعبة لغيره.

وأمّا بالنسبة لخلة الله تعالى، فله سبحانه أن يخالل من شاء من كُمّل أوليائه، وهي صفة فعلية ثابتة لله تعالى، اختص الله بها الخليلين -عليهما الصلاة والسلام-، وقد دلت الأخبار الصحيحة الصريحة على ثبوتها، والتي لا تتعارض مع العقول الصريحة.

وأنكرها قوم من المبتدعة وهذا ما سيرد بيانه ونقضه في المبحث التالي بإذن الله تعالى.

* * *

---

(١) الغيرة صفة ثابتة لله -سبحانه وتعالى- بالسنة الصحيحة، فقد أخرج البخاري في باب الغيرة خمسة أحاديث وصف فيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- ربه بالغيرة منها قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله) حديث رقم: (٤٩٢٦).

والغيرة صفة كمال ولذا وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الربَ بالكمال في ذلك فقال: (ما من أحد أغير من الله ..) صحيح البخاري حديث رقم: (٤٩٢٢).

وصفة الغيرة كبقية صفاته نثبتها لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف، ولا تمثيل، خلافاً لمن يؤول هذه الصفة: بكثرة الزجر عن الفواحش، أو شدة المنع والحماية، أو نحو ذلك.

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم (ص٢٧٤).

المبحث الثاني: المنكرون لصفة الخلة، والرد عليهم :

تقدم الكلام على أن الخلة صفة ثابتة لله تعالى، كسائر صفاته كما يليق بجلاله وعظمته، وأنها كمال المحبة، ومن هنا أنكرت الجهمية [١] حقيقتها من الجانبين " زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية، فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه، وكان قد أخذ هذا المذهب عنه الجهم بن صفوان، فأظهره وناظر عليه وإليه أضيف قول الجهمية فقتله سلم بن أحوز أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة [٢] أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعوا إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأصل قولهم هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب، الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلاً وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل ﷺ، وهم يعبدون الكواكب، ويبنون الهياكل للعقول والنجوم وغيرها،

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان، وهي إحدى الفرق الضالة، تقول بالجبر والاضطرار إلى الأعمال، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين مجازاً، وتزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان إلى غير ذلك من الضلالات والبدع .

راجع :الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (ص٢١١)، والملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١).

(٢) فرقة من أشهر الفرق الإسلامية، ويسمون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية .

والمعتزلة فرق متعددة يجمعها القول بخمسة أصول هي : التوحيد، والعدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذه الأصول هي ملجؤهم، وأصل مذهبهم، يوالون عليها ويعادون، وقد ظهر الاعتزال في البصرة ثم امتد من هناك إلى بغداد، ولذا فهم فرعان :فرع البصرة وفرع بغداد، وبينهما اختلاف كثير في المسائل.

انظر: شرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار. مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٣٥/١-٢٤٩)، (٢٩٨/٢- ٣٣٨)، الملل والنحل للشهرستاني (٤٣/١-٨٥).

وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً؛ لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب" [1].

وقولهم هذا باطلٌ ومردود، تصدى لرده الأئمة الأعلام ، بالحجة والبرهان[2]، إذ هو قول مخالف لنصوص الكتاب والسنة، وما عليه سلف هذه الأمة، فمن أنكر المحبة لله تعالى، فإنه منكر للخلة ولا معنى لها عنده، إذ الخلة كمال المحبة، وهي أعلى وأرقى درجات المحبة – كما سبق – ومنكرها منكرٌ – أيضاً – لاتخاذه خليلاً من عباده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه –رحمه الله–: " فمن المعلوم أن من أنكر أن يكون الله محبوباً لذاته ينكر مخاللته، وكذلك – أيضاً – إن أنكر محبته لأحد من عباده فهو ينكر أن يتخذه خليلاً بحيث يحب الرب ويحبه العبد على أكمل ما يصلح للعباد " [3].

ويقول ابن القيم –رحمه الله–: " وحقيقة العبودية هي كمال المحبة، فأنكروا حقيقة العبودية ولبها، وحقيقة الإلهية كونه مألوهاً محبوباً بغاية الحب المقرون بغاية الذل والخضوع والإجلال والتعظيم، فأنكروا كونه محبوباً وذلك إنكار لإلهيته " [4].

وهؤلاء المبتدعة جعلوا الخلة بمعنى الفقر والحاجة، والناس كلهم فقراء إلى الله تعالى، وعلى هذا فلا مزية ولا فضيلة لإبراهيم عليه السلام بذلك، وهذا الاتجاه للنفي يصوره لنا ابن قتيبة –رحمه الله– فيقول:" وإنما القصد به [5] الإخبار عن جهلهم وجرأتهم على الله – تعالى – بصرف الكتاب إلى ما يستحسنون وحمل التأويل على ما ينتحلون، وقالوا: في

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٦، ٦٧)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٢٨).

(٢) وممن بين فساد قولهم ابن القيم –رحمه الله– حيث كشف عوار مذهبهم بأكثر من ثمانين وجهاً في كتابه المسمى: قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين.

وذكر –رحمه الله– وجوب تعلق المحبة بالله من جميع طرق الأدلة النقلية والعقلية والذوقية والفطرية، وبين أنه لا كمال للإنسان بدون ذلك ألبته، كما أنه لا كمال للأجسام إلا بالروح والحياة، ولا لعينه إلا بالإبصار، ولا لأذنه إلا بالسمع، وأن الأمر فوق ذلك وأعظم.

انظر: مدارج السالكين(١/٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٦٩).

(٤) مدارج السالكين (١/٩٢).

(٥) يعنى القصد من تأليف كتاب تأويل مختلف الحديث.

قوله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[1] أي فقيراً إلى رحمته وجعلوا من الخلة – بفتح الخاء – استيحاشاً من أن يكون الله – تعالى – خليلاً لأحد من خلقه، واحتجوا بقول زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم

أي: إن أتاه فقير، فأية فضيلة في هذا القول لإبراهيم ﷺ، أما تعلمون أن الناس جميعا فقراء إلى الله – تعالى – وهل إبراهيم في [لفظ] [2] خليل الله إلا كما قيل: موسى كليم الله، وعيسى روح الله " [3].

وقد تقدّم نقل شيخ الإسلام –رحمه الله– عن الإمام محمد بن خفيف حيث قال: " ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى تكليماً واتخذ إبراهيم خليلاً، وأن الخلة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع " [4].

وقوله: " ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ نبينا محمداً خليلاً وحبيباً، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة أن الخلة الفقر والحاجة " [5].

ويقول أيضاً : "والخُلَّة والمحبة صفتان لله ، هو موصوف بهما ، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه ، وصفات الخلق من المحبة والخُلَّة جائز عليها الكيف ... " [6].

ويقول الشاطبي –رحمه الله– بعد أن نقل كلام ابن قتيبة المتقدم: " وهؤلاء من أهل الكلام هم النابذون للمنقولات اتباعاً للرأي وقد أداهم ذلك إلى تحريف كلام الله بما لا يشهد للفظه عربي، ولا لمعناه برهان كما رأيت " [7].

وللمناوي –رحمه الله– توجيه جيد لهذا الاعتقاد حيث يقول: " وخص إبراهيم وإن شاركه كل موجود في افتقاره إليه، لأنه لما استغنى عن المقتنيات من أعراض الدنيا

---

(١)سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والسياق يقتضيها وأثبتها من الموافقات للشاطبي (٣/٣٩٣).

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٦٩).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى (ص٤٤١).

(٥) المصدر السابق (ص٤٥٧).

(٦) المصدر السابق.

(٧) الموافقات (٣/٣٩٣).

واعتمد على الله حقاً، وصار بحيث إنه لما قال له جبريل: ألك حاجة قال: أما إليك فلا، فصبر على إلقائه في النار، وعرض ابنه للذبح لاستغنائه عما سواه فخص بهذا الاسم"(١).

فهؤلاء الجهمية أنكروا الخلة التي هي كمال المحبة، وأثبتوا الخلة التي بمعنى الفقر والحاجة، فكل فقير عندهم خليل لله بهذا المعنى، ويلزمهم عليه أن الخلق جميعهم أخلاء لله، حتى عابد الأوثان والأصنام تعالى الله وتنزه عما يقولونه علواً كبيراً (٢).

وهذا المعتقد الفاسد، وما يلزم عليه من لازم أشار إليه ابن القيم في الأبيات التالية:

وكذاك قالوا ماله من خلقه ... أحد يكون خليله النفسان

وخليله المحتاج عندهم وفي ... ذا الوصف يدخل عابدو الأوثان

فالكل مفتقر اليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري ... يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الدان (٣)

وممن تلقف عن الجهمية مقالتهم في نفي صفة الخلة: الأشاعرة

فقد ذهبوا إلى إنكار الصفات الاختيارية عن الله ﷻ وتأويلها بتأويلات فاسدة ، ومن جملة هذه الصفات المحبة والخلة وغيرهما من صفات الأفعال، وأولوا محبة الله لعبده بأنها الإحسان أو إرادة الإحسان ونحو ذلك من التأويلات المُتوهمة (٤).

يقول الجويني: " إذا قيل أحب الله تعالى عبداً فليس المراد به تحنناً عليه وميلاً إليه بل المراد إنعامه على عبده، ومحبة العبد لربه تعالى إذعانه له وانقياده لطاعته فإنه تعالى يتقدس أن يميل أو يمال إليه" (٥) .

---

(١) فيض القدير (١٠٩/١).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٩٢/١).

(٣) الكافية الشافية (نونية ابن القيم) (ص٢١).

(٤) انظر: التمهيد وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص٤٧)، الإرشاد للجويني (ص ٢١١-٢١٢)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٤/١٦)، تفسير البيضاوي (٤٤١/١)، أقاويل الثقات (ص٧٧).

(٥) الإرشاد للجويني (ص ٢١١-٢١٢).

وإذا كان الأشاعرة يتأولون صفة المحبة فإنّهم يتأولون صفة الخلة من باب أولى، فهي كمال المحبة.

قال العلامة ابن القيم في منكر صفة المحبة: "فمنكر هذه المسألة ومعطلها من القلوب معطل لذلك كله وحجابه أكثف الحجب وقلبه أقسى القلوب وأبعدها عن الله وهو منكر لخلة إبراهيم عليه السلام فإن الخلة كمال المحبة" [١].

وتأويل الأشاعرة مبنيٌّ على أصلهم في مسألة حلول الحوادث، فيمتنع عندهم أن يقوم به نعتٌ أو حالٌ أو فعلٌ ليس بقديم، لأنّ الحوادث لا تحل بذاته، والحوادث جمع حادث، والمراد بها عند المتكلمين: المخلوقات، ويجرون ذلك على أفعال الله تعالى فيُسموها حوادث، ولا يفهمون من الفعل إلا المفعول، فلا فرق عندهم بين الفعل والمفعول [٢].

وبناءً على أصلهم الفاسد أطلقوا على أفعال الله ﷻ وصفاته الاختيارية حوادث! فلو اتصف الرب بها لحلّت به الحوادث؛ فهم لا يفهمون من نسبتها إلى الله ﷻ إلا نسبة المخلوقات إلى خالقها، ومن هنا كان من يثبت الصفات الاختيارية؛ يكون عندهم قائلاً بحلول الحوادث في الذات [٣].

ويُرد عليهم بما جاء من أدلةٍ صريحةٍ في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله خ في إثبات صفات الأفعال لله ﷻ، ومنها صفة الخلة لله تعالى المتقدمة.

ويقال لمن نسب لمثبتة صفات الأفعال القول بحلول الحوادث في ذات الله ﷻ، لابد من فهم الفرق بين إثبات تلك الصفات لله ﷻ وتنزيه الله -أن يحل في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، وبين قول نفاتها بأنها مخلوقات له تعالى وأن الفعل هو المفعول! وقد أبطل أهل العلم حجتهم في هذه المسألة [٤].

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢٦، ٢٧)

(٢) انظر: الإرشاد للجويني (ص٥٨)، أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (١/٤٥٥)، المواقف في علم الكلام للإيجي (ص٢٧٥).

(٣) انظر: الفتاوى (٦/٢٢٠).

(٤) انظر: التسعينية (٣/٧٥٩)، ودرء التعارض (٦/٣١٠-٣١١)، ومجموع الفتاوى (٥/١٩٤-٢١٧).

ومن جملة حججهم على نفي صفة الخلة وغيرها من الصفات الاختيارية قولهم: بأن إثبات الصفات لله ﷻ يستلزم المجانسة والمناسبة بين الخالق والمخلوق ، وهذا يقتضي التشبيه، فالمحبة عندهم لا تكون إلا بين متجانسين أو متناسبين، و"الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز، والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلاً لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه"[١].

يقول الرازي: "والحاصل أن كونه خليلاً يوهم الجنسية فهو سبحانه أزال وهم المجانسة والمشاكلة بهذا [٢] الكلام" [٣].

والجواب عن ذلك:

بأن يقال: المجانسة لفظ مجمل يحتمل حقاً ويحتمل باطلاً، فإن أريد بها أن يكون الشيء من جنسه، ومتولد عنه، أو أن أحد المتجانسين محتاج ومفتقر إلى الآخر، أو أن أحدهما مماثل للآخر ومشابه له، فهذا كله باطل بالنسبة لله تعالى.

وإن أريد أنّه موافق له في الأمر والإرادة فهذا حق، ولكنهم لا يريدون ذلك، فلم يبق إلا المعنى الباطل، وهذا ما يجب ردّه وبيانه.

وأما قولهم: بأن الصفات لا تقوم إلا بجسم ، والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلاً لسائر الأجسام..

فالجواب عنه بأن يقال: إن كان التشبيه لازماً لبعض الصفات كالخلة والمحبة وغيرهما من الصفات الاختيارية فهو لازمٌ للصفات الأخرى التي يثبتها الأشاعرة! والعكس أيضاً فإن لم يكن التشبيه لازماً للصفات التي يثبتونها فكذلك لا يلزم في الصفات التي ينفونها، وهكذا، فالقول في بعض الصفات كالقول في بعض[٤].

---

(١) التدمرية (ص١١٩).

(٢) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [سورة النساء:١٢٦].

(٣) التفسير الكبير (٤٨/١١).

(٤) انظر: التدمرية (ص٣١، ١٢١)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٠).

قال شيخ الإسلام: " لا فرق بين ما نفتيه وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فان قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل.

وإن قلت: له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به قيل لك: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطب الانتقام.

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة.

فإن قلت: هذه إرادة المخلوق، قيل لك: وهذا غضب المخلوق.

وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات.

وإن قال: إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه، قيل له: هكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له: فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته" [1].

وليس معنى ذلك أن خلة الله على وفق ما يتصوره الإنسان مما يجده من نفسه، أو يعلمه من غيره من الخلق، فصفات الله لا تشبه صفات الخلق، كما أنه جل وعلا لا يشبه خلقه.

* * *

---

(١) التدمرية (ص٣١-٣٢).

المبحث الثالث: إطلاق لفظ الخليل على الله تعالى:

تعددت الأقوال – بين إثبات ونفي– في إطلاق لفظ الخليل على الله تعالى.

يقول ابن الأنباري:"الخليل معناه: المحب الكامل المحبة، والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة، اللذان ليس في حبهما نقص ولا خلل.

قال الواحدي: هذا القول هو الاختيار؛ لأن الله ﷻ خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله، ولا يجوز أن يقال: الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة، والله أعلم"[١].

ويقول شهاب الدين المصري:"والجمهور على أن الخليل من الخلة التي هي المودة، التي ليس فيها خلل، والله خليل إبراهيم، وإبراهيم خليله" [٢].

ونقل ابن حجر عن الداودي قوله:" ولهذا يقال: إبراهيم خليل الله، ولا يقال:الله خليل إبراهيم" وعلق عليه بقوله:" ولا يخفى ما فيه" [٣].

"قال الراغب: الخلة تنسب إلى العبد لا إليه تعالى، فيقال إبراهيم خليل الله ولا يقال الله خليله، وهو إن كان من الأسماء المتضايفة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر، وارتفاعه ارتفاعه، لكن ليس المراد بقولهم: إبراهيم خليل الله مجرد الصداقة بل الفقر إليه"[٤].

والطحاوي –رحمه الله– بين ما ينبغي أن يقال في هذه المسألة فقال:

"وقالوا: فلما كان الله ﷻ له خليلاً، لم يجز أن يكون ذلك إلا من الخلة التي هي نهاية المحبة، وإذا كان المعنى في أن الله ﷻ له خليل هو هذا المعنى، كان المعنى الذي كان به خليلاً لله ﷻ هو ذلك المعنى – أيضاً – والله أعلم بمراده في ذلك " [٥].

وبنحو هذا قال أبو المحاسن يوسف الحنفي:" ولما كان الله له خليلاً لم يجز إلا أن يكون من الخلة التي هي نهاية المحبة، فكذا إذا كان هو خليلاً لله يكون بهذا المعنى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٥٦/٣).

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن (ص١٧٥).

(٣) فتح الباري (١٣/٧).

(٤) فيض القدير (١٠٩/١).

(٥) شرح مشكل الآثار (٤٣/٣).

وكـذا الولايـة منـسـوبة لمـن يتـولاه مـن خلقـه ويتـولى الله خلقـه قـال تعـالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[1] الآية ، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] "[3].

فـالرب – عـز وجـل – لا يـوالي عبـده مـن ذل، كمـا يـوالي المخلـوق غيـره، بـل يواليـه إحسـانا إليه.

فالحاصل: أنه يطلق على الله لفظ (الخليل) ، وهذا من باب الإخبار عنه سـبحانه تعـالى ، ولا يـسـمى بـه تعـالى، يقـول ابـن قتيبـه –رحمـه الله– وجعلـوا مـن الخلـة –بفـتح الخـاء – استيحاشاً من أن يكون الله – تعالى – خليلاً لأحد من خلقه" [4].

ويؤيده ما ذكره ابن القيم بقوله: " فغار الخليل على قلب خليله " [5].

وقال –رحمه الله– " فأراد خليله – سبحانه – أن تكون تلك الشعبة له..."[6].

وقال في موضع آخر: "فغار الخليل على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره" [7].

فمن القواعد المتقررة في باب الأسـماء والصفات؛ أن بـاب الأفعـال أوسـع مـن بـاب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الأفعال وباب الصفات وباب الأسـماء، فقد يطلق ويضاف إلى الله ﷻ فعلٌ ولا يضاف إليـه الصفة، كمـا أنـه قد يوصف الله –جل وعلا– بشيء ولا يشتق له من الصفة اسماً، قال العلامة ابن القيم – رحمـه الله– : "مـا يـدخل فـي بـاب الإخبـار عنـه تعـالى أوسـع ممـا يـدخل فـي بـاب أسـمائه وصفاته، كالـشيء والموجـود والقـائم بنفسـه فإنـه يخبـر بـه عنـه ولا يـدخل فـي أسـمائه الحسنى وصفاته العليا" [8].

---

(1) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(2) سورة يونس: الآية ٦٢.

(3) المعتصر من المختصر لأبي المحاسن الحنفي (٢/٣٨٦، ٣٨٧).

(4) تأويل مختلف الحديث (ص٦٩).

(5) جلاء الأفهام (ص٢٧٤).

(6) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٣٥٦).

(7) مدارج السالكين (٣/٣٠).

(8) بدائع الفوائد (١/١٦٩).

ومما ينبغي أن يُعلم أنّ هناك أسماء تدل دلالةً لغوية على معنى يُمكن أن يدخل في مدلوله المدح والذم، فيجوز الإخبار بها لإثبات معنى الكمال لا معنى الذم، إلا أنها لا تُطلق على الله إطلاق الأسماء والصفات، ومن ذلك لفظ (الخليل) فقد تقدّم أنّ من معانيه الفقير والمحتاج، وهذا بلا شك منتفٍ عن الله تعالى، فلا يُسمى به، وإنما يُخبر به لدلالته على معانٍ تليق بالله تعالى من المحبة والتأييد والنصرة والإحسان.

قال ابن القيم -رحمه الله-: " الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمريد والفاعل والصانع فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق بل هو الفعال لما يريد فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً"[1]، والخليل- والله أعلم- من هذا القبيل.

* * *

---

[1] المصدر السابق.

الفصل الثاني: الخلة في حق إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : خلة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام–.

المبحث الثاني: خلة محمد ﷺ.

المبحث الثالث: الخلة أعلى مقامات المحبة.

المبحث الأول: خلة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام–:

الخلة لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام– ثابتة بنصوص الوحيين وأقوال أهل العلم، وقد تقدّم ذكرها.

والخلة "هي كمال المحبة، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة، وكان قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه بذبحه ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله وظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد، إيثاراً لمحبة خليله على محبته نسخ الله ذلك عنه وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر به فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح مفسدة فنسخ في حقه، فصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة، وهو الذي فتح للأمة باب مناظرة المشركين وأهل الباطل، وكسر حججهم، وقد ذكر الله سبحانه مناظراته في القرآن مع إمام المعطلين ومناظرته مع قومه المشركين وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة وأقربها إلى الفهم وحصول العلم" [1].

فالخلة تتضمن تعلق القلب كله بربه، وليس فيه شعبة لغيره، ولهذا نجد أن إبراهيم عليه السلام لما أخلص الخلة لله، وتمحضت له وحده دون من سواه نسخ الأمر لحصول المقصود، وهو العزم، وتوطين النفس على الامتثال [2].

---

(١) جلاء الأفهام (ص٢٧٤–٢٧٥).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٦).

وهذا المعنى يوضحه شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله- بقوله:"الخلة أخص من مطلق المحبة بحيث هي من كمالها، وتخللها المحب حتى يكون المحبوب بها محبوبا لذاته لا لشيء آخر، إذ المحبوب لشيء غيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة والمزاحمة لتخللها المحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، فالخلة تنافي المزاحمة وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوباً لذاته محبة لا يزاحمه فيها غيره، وهذه محبه لا تصلح إلا لله فلا يجوز أن يشركه غيره فيما يستحقه من المحبة وهو محبوب لذاته، وكل ما يحب غيره إذا كان محبوباً بحق فإنما يحب لأجله وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة " [1].

وقد كان لتسميته بالخليل - عليه الصلاة والسلام - أسباب ذكرها أهل العلم، واختلفت أقوالهم في ذلك، وهذا راجع - والله أعلم - إلى اشتقاقات لفظة (الخليل) وتعددها [2].

وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى ما يلي:

١- لأنه تخلق بأخلاق حسنة، وبلغ في ذلك مبلغا لم يبلغه أحد.

٢- لإخلاصه وعبادته واجتهاده.

٣- لحاجته وفقره إلى الله - تعالى - ، وإظهاره ذلك.

٤- ما أكرمه الله به من تحول الرمل الذي ملأ به غرارتيه[3] إلى دقيق حواري[4].

٥- شدة محبته لربه - سبحانه - محبة تخللت قلبه.

٦- لموالاته لله ومعاداته فيه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٨، ٦٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/٤٨٤)، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير (١/١٦٢)، الشفا للقاضي عياض (١/٤٠٩، ٤١٠)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٥١)، عمدة القاري (١٥/٢٤٠)، تفسير القرطبي (٥/٤٠٠)، البحر المحيط للزركشي (٣/٣٦٤، ٣٧٤)، روح المعاني (٥/١٥٥).

(٣) المقصود بها الأعدال التي يحمل فيها الطيب والبز. انظر: لسان العرب (٢/٦٣٨).

(٤) بالضم وتشديد الواو وفتح الراء : ما حور من الطعام، وهو الشيء الخالص، وكل شيء خلص لونه فهو حوارى، والأحوري: الأبيض الناعم.

والحوارى الدقيق الأبيض، وهولب الدقيق وأجوده وأخلصه انظر لسان العرب (٤/٢٢٠).

٧- أنّ الله اختصه بذلك، وأمتن عليه بهذا التشريف.

وهي كما ترى اجتهادات في التسمية أغلبها لا يسلم من المعارضة والنقد، والذي أميل إليه منها، أنها اختصاص وتشريف من الله - تعالى - لإبراهيم عليه السلام واصطفاء له، لأن محبته لله تخللت مسلك الروح منه، فلم يكن فيه مسلك لغيره، وهذا مستلزم لما ذكر من سبب الحاجة والفقر لله - تعالى -، فإن كمال حبه لله هو محبة عبودية وافتقار، ولهذا سماه الله خليلاً وهذا يجمع الأقوال ويسلم من المعارض - والله أعلم -.

يقول الطحاوي -رحمه الله- " فاحتجنا إلى الوقوف على معنى ما أضيف من ذلك إلى الله عز وجل، فوجدنا قائلاً قد قال: المراد بخليل الله عز وجل في هذا فقير الله، الذي لم يجعل فقره وفاقته إلا إليه، لا إلى أحد من خلقه، ووجدنا غيره قد قال: في ذلك إنه المحب الذي لا خلل في محبته، ووجدنا غيره قد قال: هو المختص بالمحبة دون غيره من الناس وكل هذه التأويلات محتملات لما تؤولت عليه، وقال غيرهم: إنها الموالاة كأنهم يذهبون إلى أنّ الله عز وجل جعله له وليا ولاية لا ولاية فوقها ولا ولاية مثلها فاستحق بذلك إطلاق اسم الخليل من الخلة "[1].

أسباب اختيار إبراهيم عليه السلام خليلاً من بني آدم:

تقدم بيان معنى الخليل (٢) وسبب التسمية به، وكانت لاختياره عليه السلام أسباب ذكرها أهل العلم، واجتهدوا في تحديدها، بل ربما ذكر بعضهم أسباباً اعتمد فيها على أحاديث واهية، ولذا رأيت من المناسب - وأنا أتحدث عن هذه المسألة- الإشارة إليها، وترجيح ما تعضده الأدلة حتى لا تبقى مثل هذه المسألة دون نظر.

فقد أخرج البيهقي عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: (يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً قال: لإطعامه الطعام يا محمد)[3].

---

(١) شرح مشكل الآثار (٣/ ٤١).

(٢) في التمهيد فليرجع إليه.

(٣) شعب الإيمان (٧/ ٩٨) حديث رقم: (٩٦١٦)، وانظره في تفسير القرطبي (٥/ ٤٠١).

وأخرج الديلمي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال للعباس: (يا عم: أتدري لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ هبط إليه جبريل، فقال: أيها الخليل هل تدري بم استوجبت الخلة؟ فقال: لا أدري يا جبريل قال: لأنك تعطي ولا تأخذ) [1]

وقد ذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال في سبب اتخاذ الله له خليلاً:

"أحدها: أنه اتخذه خليلا لإطعامه الطعام روى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلا قال لإطعامه الطعام

والثاني [2]: أن الناس أصابتهم سَنَة ...

والثالث: أنه اتخذه خليلاً لكسره الأصنام وجداله قومه" [3]

ومما تقدم نجمل الأسباب بما يلي:

١- إطعامه عليه السلام الطعام.

٢- لأنه كان يعطى ولا يأخذ.

٣- أنه أضاف أناسا من غير ملته، فطلبوا منه حاجته، فرغب منهم توحيد الله والسجود له، فاسلموا.

٤- طلبه من الملائكة لما رفضوا أكل العجل إلا بثمن، التسمية في أوله والتحميد في آخره.

٥- الكرامة التي أكرمه الله بها من قلب الله له غرائر الرمل دقيقاً فأكل وأطعم الناس.

٦- مجادلة قومه وكسره الأصنام.

٧- بذله المال والولد على سماع ذكر الله – تعالى –.

والمتأمل لهذه الأسباب يجدها ترجع إلى سبب واحد وهو إيمانه بالله وحده، وكرمه الذي تميز به، وهذا ما ظهر من إطعامه وإكرامه لضيوفه وصناعة المعروف، وما صاحب هذا من دعوة الناس إلى التوحيد الخالص.

---

(١) أخرجه الديلمي (٥/ ٣٥٦) حديث رقم: (٨٤٢٦) قال السيوطي: "سنده واه". الدر المنثور (٢/ ٧٠٦).

(٢) هناك من يجعل هذا من أسباب تسميته بالخليل – كما تقدّم –

(٣) زاد المسير (٢/ ٢١٢) وانظر: التفسير الكبير (١١/ ٤٧)، تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠-٤٠١) روح المعاني (٥/ ١٥٥).

المبحث الثاني : خلة محمد ﷺ :

ثبت له –صلى الله عليه وسلم– أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة [1]، كما صح عنه، فقد أخرج مسلم عن جندب قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل أنْ يموت بخمْس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) [2].

وما رواه عبدالله بن مسعود عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال:(لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله)[3].

وعنه – أيضاً – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (ألا إني أبرأ إلى كل خلٍّ من خلِّه ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله) [4].

وقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ : (إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر) [5].

فالخلة ثابتة لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– كما هي ثابتة لإبراهيم عليه السلام .

وخلة الله تعالى له –صلى الله عليه وسلم– ثابتة على ما يليق بجلال الله وعظمته، من غير تكييف ولا ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، فهي صفة فعلية تتعلق بمشيئة سبحانه، وما قلناه عن خلة إبراهيم عليه السلام يقال هنا من أنها كمال المحبة ونهايتها المستلزمة من العبد كمال العبودية، ومن الرب كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم

---

(1) استدرك أهل العلم على الإمام الطحاوي –رحمه الله– حين وصف النبي ﷺ فقال: "وحبيب رب العالمين" فالخلة أعلى من المحبة وأليق به ﷺ فالمحبة قد ثبتت لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٤]، ولذا كان الأولى أن يُقال : " وخليل رب العالمين" لأن المحبة مشتركة بين جميع المؤمنين وأما الخلة فمن خصائصه مع إبراهيم – عليهما الصلاة والسلام–.

انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص١٦٤–١٦٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم: (٢٣٨٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم : (٣٤٥٤).

ويحبونه، وهي خاصة بإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام دون من سواهما من الخلق.

والخلة أعلى درجات المحبة، ولهذا لم يتخذ الرسول –صلى الله عليه وسلم– خليلاً من أهل الأرض، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال : (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر ﷺ فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ: إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا قال يا أبا بكر: لا تبك إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر)[1].

وأخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: خرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن خلة الإسلام أفضل سدوا عني كل خوخة[2] في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر)[3].

وعن ابن عباس قال: أما الذي قال رسول الله ﷺ (لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلا لاتخذته ولكن خلة الإسلام أفضل أو قال خير) [4]

وأخرج مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :(لو كنت متخذاً من أمتي أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر) [5]

وفي لفظ (لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت بن أبي قحافة خليلاً) [1].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٤٥٤) وصحيح مسلم حديث رقم: (٢٣٨٢).

(٢) المراد بها في الحديث باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بابين، ينصب عليها باب.

انظر: النهاية في غريب الأثر (٢/٨٦).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٥).

(٤) المصدر السابق، حديث رقم: (٦٣٥٧).

(٥) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣٨٣).

فهذه الأحاديث وما سبقها من أحاديث تدل دلالة واضحة على خلة الله لمحمد ﷺ، وأنه ﷺ لم يتخذ خليلاً من البشر حيث بين ﷺ أنه لا يصلح أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، ولو أمكن ذلك لكان من أحق الناس به أبو بكر الصديق، مع أنه ﷺ وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً، كقوله لمعاذ: (والله إني لأحبك) [٢]، وتصريحه لعمرو بن العاص، بحب عائشة وأبيها [٣]، فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محبا لذاته، لا لشيء آخر، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير ومن كمالها لا تقبل المزاحمة [٤]، والخلة تنافي المزاحمة وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا لذاته، ولهذا لم يتسع قلب النبي ﷺ لغير خلة الله تعالى، حيث تخللت مسلك الروح منه، فامتلأ قلبه بها كما هو الحال بالنسبة لإبراهيم عليه السلام كما أسلفنا، ونفاها عن أبي بكر رضي الله عنه فهي فوق المحبة وهي الخلة الخاصة.

وإنما كان ذلك لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع لمخالة غيره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله- " ولما كانت الخلة تستلزم كمال المحبة واستيعاب القلب لم يصلح للنبي ﷺ أن يخالل مخلوقاً" [٥]

ويقول ابن القيم -رحمه الله- " والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها " [٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سنن أبي داود حديث رقم: (١٥٢٤)، صحيح ابن خزيمة حديث رقم: (٧٢٨)، وابن حبان حديث رقم: (٢٠٥٤)، قال الحاكم في المستدرك حديث رقم: (٩٦٠): حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك، حديث رقم: (٦٧٤١)، عن عمرو بن العاص أنه قال: يا رسول، من أحب الناس إليك، قال: عائشة، قال: إنما أقول: من الرجال، قال: أبوها، والحديث يروى عن أنس رضي الله عنه حديث رقم: (٦٧٣٩) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وأخرجه ابن حبان حديث رقم: (٧١٠٦)، والترمذي حديث رقم: (٣٨٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٣٠).

(٥) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٥٢).

(٦) زاد المعاد (١/ ٧٤).

أما الخلة العامة التي تعني الصحبة والأخوة والمودة ونحوها فقد أثبتها له الرسول ﷺ، كما في الأحاديث المتقدمة (ولكن أخوة الإسلام ومودته) (ولكن خلة الإسلام أفضل) أو قال:(خير) (ولكنه أخي وصاحبي).

ولا يتعارض هذا مع اشتراكه ﷺ مع جميع الصحابة – رضوان الله عليهم – ، فالمحبة والمودة والأخوة مراتب متفاوته، وكل له قدرة.

يقول ابن قتيبه –رحمه الله– :" وكانت الخلة إنما تتخذ نسبها بالمودة التي قد تكون ولا إسلام معها، وكان ما لا يكون إلا بالإسلام أو بالإيمان أفضل من ذلك فرد ﷺ مكان أبي بكر منه إلى ذلك المعنى وجعله فوق الخليل " [1].

فالرسول ﷺ وأبو بكر بينهما خلة الإسلام، ومودته وهما أفضل من خلة ومودة وأخوة وصحبة تكون بغير إسلام، ولهذا رد الرسول ﷺ مكان أبي بكر منه إلى ذلك المعنى فلم ينف الخلة العامة عنه وما تضمنته من معنى المودة والصحبة والأخوة، والحديث صريح بهذا (ولكن خلة الإسلام أفضل).

وعلى هذا تحمل الأحاديث التي جاء فيها ما يدل على اتخاذ النبي ﷺ من أصحابه خليلاً، كما جاء في استثناء الرسول ﷺ في الحديث المتقدم (ولكن خلة الإسلام أفضل)، وكما جاء في بعض الأحاديث والروايات التي لم يسلم بعضها من النقد، ولولا أن الأئمة ذكروها في مؤلفاتهم وعلقوا عليها لضربت عنها صفحا، ولعل إيرادي لها يكون من باب التنبيه عليها، حتى لا يحتج بها محتج أو يتعلل بها من يريد التشكيك في معتقد أهل السنة والجماعة فظاهرها معارض للنصوص المتقدمة الثابتة، وحاول الأئمة التوفيق بينهما وبين ما يحتمل ثبوته.

فمن ذلك ما أخرجه الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن خليلي أبو بكر) [2].

---

(١) شرح مشكل الآثار (٣/٤٣).

ومعنى فوق الخليل : أي فوق الخلة من غير إسلام وفوق الخليل غير المؤمن.

(٢) انظر: المعجم الكبير حديث رقم: (٧٨١٦).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد – باب جامع في فضله (٩/٤٥) : فيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

وما أخرجه الطبراني – أيضاً – عن أبي أمامة عن كعب بن مالك الأنصاري قال: عهدي بنبيكم ﷺ قبل وفاته لخمس ليال، فسمعته يقول: (لم يكن من نبي إلا وله خليل في أمته، وإن خليلي أبو بكر بن أبي قحافة، وإن الله اتخذ صاحبكم خليلاً) [1].

وقد أخرجه بلفظ قريب مما تقدم الحافظ أبو الحسن على بن عمر الحربي السكري عن أبي بن كعب أنه قال: إن أحدث عهدي بنبيكم قبل وفاته بخمس ليال دخلت عليه، وهو يقلب يديه وهو يقول: (إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً، وإن خليلي من أمتي أبو بكر بن أبي قحافة، ألا وأن الله – تعالى – قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) [2].

وهذا الأثر والذي قبله يعارض وبشكل ظاهر وعام كل الأحاديث التي تثبت الخلة الخاصة لمحمد ﷺ وتنفي اتخاذه أحداً من الناس خليلاً، ويعارض بصورة أخص حديث جندب أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله – تعالى – قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) [3].

وهذا الحديث في صحيح البخاري – كما تقدم –

وقد حاول الأئمة الجمع بينها بما يلي:

١– أنه نفى الخلة أولاً، ثم أذن الله في مخاللة أبي بكر ﷺ.

يقول المحب الطبري "والأحاديث النافية لاتخاذ الخلة أصح وأثبت، وإن صحت

---

(١) انظر: المعجم الكبير حديث رقم: (٨٩).

وأخرجه عن كعب وبهذا اللفظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٧/٤)، باب الإحسان إلى الموالي والوصية بهم، وقال عنه: فيه عبيد الله بين زحر، وعلي بن يزيد، وهما ضعيفان، وقد وثقا.

وقال ابن كثير بعد ذكره لهذا الحديث: "وهذا الإسناد ضعيف" انظر: البداية والنهاية (٢٦٩/٦)، وقد أورده بسند آخر عن أبي هريرة وقال: "وهو غريب من هذا الوجه".

قال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني من طريق عبدالله بن زحر عن علي بن يزيد، وقد وثقا، ولا بأس بهما في المتابعات.

(٢) ذكر هذا الأثر بهذا السند أبو جعفر أحمد بن عبدالله الطبري (١٠/٢)، ابن حجر في فتح الباري (٢٣/٧)، والعيني في عمدة القارئ (١٧٧/١٦)، وعلي القارئ في مرقاة المفاتيح (١٦٧/١١)، وأخرجه عن أبي الحسن الحربي عن كعب بن مالك بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٨/٣٠).

(٣) تقدم تخريجه.

هذه الرواية [1]، فيكون قد أذن الله له عند تبريه من خلة غير الله مع تشوقه لخلة أبي بكر، لولا خلة الله في اتخاذه خليلاً، مراعاة لجنوحه إليه وتعظيماً لشأن أبي بكر، ولا يكون ذلك انصرافاً عن خلة الله جل وعلا بل الخلتان (٢) ثابتتان كما تضمنه الحديث"[3].

وهذا الجمع ذهب إليه طائفة كابن حجر [4] والعيني [5] والمناوي [6] وعلي القاري[7]، وغيرهم.

٢- أن إثبات الخلة لغير الله محمول على نوع منها، ونفيها عن غير الله محمول على كمالها، وقد ذهب إلى هذا الجمع ابن حجر الهيتمي [8]، وعلى بن برهان الدين الحلبي [9] وغيرهما.

وهذا جمع أراه مناسباً وموافقاً لما تقدم من الأحاديث، فالمثبت – على تقدير ثبوت صحة الآثار – وهو الخلة العامة التي بمعنى الصحبة والمودة، والأخوة – كما أسلفنا –، وهذا نوع من أنواع الخلة والمنفي هو الخلة الخاصة التي اختص بها الخليلان إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – وهي كمال المحبة وكمال العبودية، فهذه لا شركة فيها بحال وهي الخلة الكاملة.

وبهذا الجمع توجه الآثار الأخرى التي وردت في هذا السياق – إن ثبتت – ومنها: ما أخرجه ابن عساكر وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي خليل في أمته، وإن خليلي عثمان بن عفان) [10].

---

(١) يقول ابن حجر: "فإن ثبت حديث أبي أمكن أن يجمع بينهما" وذكر نحو قول المحب الطبري. انظر: فتح الباري(٧/ ٢٣)

(٢) أقول: هما الخلة الخاصة كما في حديث جندب والخلة العامة لجميع المؤمنين والله أعلم .

(٣) الرياض النضرة (٢/ ١٠).

(٤) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٣)، وقال بعد ذلك: "فلا يتنافي في الخبران" وأشار إلى أن حديث أبي أمامة أخرجه الواحدي في تفسيره، وأن الخبران واهيان.

(٥) انظر: عمدة القارئ (١٦/ ١٧٧).

(٦) انظر: فيض القدير (٥/ ٢٨٨).

(٧) انظر: مرقاة المفاتيح (١٧/ ٣٢٠).

(٨) انظر: الصواعق المحرقة (١/ ٢٠٣).

(٩) انظر: السيرة الحلبية (٣/ ٤٥٩).

(١٠) أخرجه ابن عساكر بسنده في تاريخ دمشق (٣٩/ ١٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٢)وقال: "غريب من حديث عطاء، لم نكتبه إلا من هذا الوجه"

ومنها : ما أخرجه ابن سعد وغيره عن سلام بن مسكين عن رجل قال: قال رسول الله ﷺ : (خليلي من هذه الأمة أويس القرني) [1].

ويدخل في هذا ما أخرجه الحاكم عن الحسين بن خارجة أنه قال: " لما كانت الفتنة الأولى أشكلت علي، فقلت اللهم أرني أمراً من أمر الحق أتمسك به، قال: فأريت الدنيا والآخرة ... ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد، قلت: أراني قد أريت أذهب إلى سعد فانظر مع من هو فأكون معه، فأتيته فقصصت عليه الرؤيا فما أكثر بها فرحاً، وقال: قد شقي من لم يكن له إبراهيم خليلاً... " [2].

=يقول ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٠٤/١) "حديث لا يصح وإسحاق بن نجيح أحد رجاله قال أحمد : من أكذب الناس وقال يحيى : هو معروف بالكذب والوضع وقال ابن حبان : كان يضع وفيه يزيد بن مروان قال يحيى: كذاب وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج به بحال"

ويقول الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٥٥/١): "وهذا باطل ويدل على ذلك قوله ﷺ (لو كنت متخذا خليلا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلا).

قال أحمد بن حنبل فيما روى عنه ابنه عبدالله : إسحاق بن نجيح من أكذب الناس يحدث عن البتي وعن ابن سيرين برأي أبي حنيفة.

وقال أحمد بن محمد بن القاسم بن المحرز: سمعت يحي بن معين يقول إسحاق بن نجيح الملطي كذاب عدو الله رجل سوء خبيث.

وقال عبدالله بن علي بن المديني : سألت أبي عن إسحاق الملطي فقال بيده هكذا أي : ليس بشئ".

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٣٤٢/١)، قال في الذيل: هو من أباطيل الملطي، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٢٩٨/٢) في إسناده إسحاق بن نجيح كذاب.

(١) انظر: الطبقات الكبرى (١٦٣/٦) عن رجل من التابعين مرسلا غير مسند وجاء في أسنى المطالب (ص١٣٣) "فيه علتان: الإرسال، وجهل التابعي وأويس المذكور اشتهر عند أهل العلم".

وقال ابن حبان في الثقات (٥٢/٤) الترجمة رقم: (١٧٩٣) "كان بعض أصحابنا ينكر كونه في الدنيا".

ويقول الذهبي في ميزان الاعتدال (١٢٥/٤) : إن مالكا أنكره.

وانظر: هذا الأثر في التيسير بشرح الجامع الصغير (٥١٨/١)، ويقول الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (١٩٨/٤) حديث رقم: (١٧٠٧) "ورجاله ثقات، لكنه مرسل، لأن سلام بن مسكين من أتباع التابعين، فالرجل الذي حدث عنه أحسن أحواله أنه تابعي، ولا يمكن أن يكون صحابياً، فثبت أنه مرسل، ثم إن الحديث منكر عندي بقوله ﷺ في الحديث الصحيح (... إني أبرأ إلى الله أن يكون لي فيكم خليل ...)

(٢) المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٨٣٩٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأنظره في التمهيد لابن عبدالبر عن حسين بن خارجة (٢٢٢/٩)، وفي أخبار المدينة لأبي زيد عمر البصري (٢٧٠/٢) عن حسين ابن خارجة.

وقد يطرح التساؤل التالي: ما تقدم من أحاديث إنما هي في عدم اتخاذ النبي ﷺ خليلاً من هذه الأمة، فكيف باتخاذه خليلاً من الملائكة لِما أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (خرج من عندي خليلي جبريل آنفاً)[١].

هذا الحديث ظاهره لا يعارض الأحاديث المتقدمة: (لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً) (من أهل الأرض....) (لو أمتي ..) (من الأمة أحداً ..) (أن يكون لي منكم خليل ..) (متخذاً من الناس ...) ونحوها فهو استثناء من الأمة البشرية .

لكن قد يفهم منه المعارضة لحديث: (لو كنت متخذاً غير ربي)، وحديث (لو كنت متخذاً خليلاً)، وحديث (ألا إني أبرأ إلى كل خلّ من خلة).

وهذه الأحاديث تقدمت، والحديث في حال ثبوت صحته موافق للأحاديث المتقدمة كلها دون استثناء، إذا ما علمنا أن النفي هو للخلة الخاصة بالخليلين – كما أسلفنا – والإثبات سواء للملائكة أو للبشر فهو بمعنى الخلة العامة التي تعنى المودة والمصافاة ونحوها والتي أثبتها ﷺ لأصحابه وغيرهم من المؤمنين لكنها لأبي بكر بوجه أخص لما ذكره الرسول ﷺ من سبب فلا أحد أمن عليه في نفسه وماله من أبي بكر، وأثبتها له ﷺ الصحابة بقولهم: أوصاني خليلي أو نحو ذلك، وكذلك في هذا الحديث أثبتها لجبريل ﷺ فلا إشكال.

وأما ما ورد من أحاديث صحيحة، تدل على أن بعض الصحابة اتخذه خليلاً، وهذا يوحي بالتعارض مع الأحاديث التي نفت اتخاذه ﷺ خليلاً من أمته، فإن العلماء رحمهم الله أجابوا عليها بأجوبة تزيل هذا الوهم ومن هذه الأحاديث:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: " أوصاني خليلي بثلاث..."[٢].

وما أخرجاه عن الأحنف بن قيس أنه قال: " جلست إلى ملأ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلم ثم قال: بشر الكانزين ... قال لي

---

(١) المستدرك على الصحيحين عن سليمان بن هرم حديث رقم (٧٦٣٧)، وقال: حديث صحيح الإسناد، وسليمان بن هرم العابد من زهاد أهل الشام، وتبعه ابن القيم في شفاء العليل (ص١١٤)، وتُعقب بقول الذهبي: "لا والله وسليمان غير معتمد" وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة، حديث رقم: (١٨٢/٣) حديث (١١٨٣).
وانظره في فضيلة الشكر لله لأبي بكر الخرائطي (ص٥١)، وفي الترغيب والترهيب للمنذري (٢١٥/٤).
(٢) صحيح البخاري حديث رقم: (١١٢٤)، وصحيح مسلم حديث رقم: (٧٢١).

خليلي قال: قلت من خليلك ؟ قال النبي ﷺ يا أبا ذر أتبصر أحداً قال: فنظرت إلى الشمس..." [1]

وأخرج مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ (لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب فقالوا: يا أبا هريرة هذا الله، فمن خلق الله؟ قال فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال: قوموا قوموا صدق خليلي) [٢].

وأخرج – أيضاً – عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت خليلي ﷺ (قول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) [٣].

وأخرج عن أبي رافع ﷺ قال:"رأيت أبا هريرة يسجد في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ فقلت تسجد فيها فقال نعم رأيت خليلي ﷺ يسجد فيها فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه قال شعبة: قلت النبي ﷺ؟ قال نعم" [٤].

وأخرج عن أبي ذر ﷺ قال:"إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجدع الأطراف..." [٥].

وأخرج عن أبي ذر – أيضا – قال: "إن خليلي ﷺ أوصاني إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه..."[٦].

وأخرج أبو داود وغيره عن أبي الدرداء ﷺ قال: " أوصاني خليلي بثلاث ..."[٧]

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة على هذا النحو [٨]

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم: (١٣٤٢)، وصحيح مسلم حديث رقم: (٩٩٢).

(٢) صحيح مسلم حديث رقم: (١٣٥).

(٣) المصدر السابق حديث رقم: (٢٥٠).

(٤) المصدر السابق حديث رقم: (٤٠٧).

(٥)صحيح مسلم حديث رقم: (٦٤٨).

(٦) المصدر السابق حديث رقم: (٢٦٢٥).

(٧) انظر: سنن أبي داود حديث رقم: (١٤٣٣)، ومسند الإمام أحمد حديث رقم: (٢٧٥٩١،٢٧٥٢١).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٧/٢) رجاله رجال الصحيح.

(٨) المستدرك على الصحيحين حديث رقم: (٨٦١٧، ٧٦٣٧)، وصحيح ابن حبان حديث رقم: (٢٥٣٦، ٤٤٩).

وعن غير هؤلاء من الصحابة [١] – ﷺ –

والعلماء – رحمهم الله – اختلفت أقوالهم وتوجيهاتهم لمثل هذا الإشكال، فمن قائل: إنه لا تعارض، فالخلة الخاصة من جانب الرسول ممنوعة ومنكرة والرسول ﷺ صرح بذلك، وهذه غير الخلة العامة، التي أثبتها الرسول ﷺ لبعض أصحابه – كما تقدم – وأثبتها له أصحابه، فهو ﷺ خليل لكل مؤمن بهذا المعنى، فهو نفى خلته لغير الله، ولم يمنع غيره أن يتخذه خليلاً.

يقول النووي –رحمه الله– " قوله: (أوصاني خليلي) لا يخالف قوله ﷺ : (لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ..) ؛ لأن الممتنع أن يتخذ النبي ﷺ غيره خليلاً، ولا يمتنع باتخاذ الصحابي وغيره النبي ﷺ خليلاً" [٢].

ويقول ابن حجر: " وقول أبي هريرة هذا لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر)؛ لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلاً لا العكس ولا يقال: أن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين؛ لأنا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين فأطلق ذلك أو لعله أراد مجرد الصحبة أو المحبه" [٣]

وإلى هذا ذهب العيني [٤] والسيوطي [٥] وغيرهما.

ومن منكر لإثبات بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – خلتهم للنبي ﷺ، وأنه ليس لأحد أن يقول: إنه خليل لمحمد ﷺ ، وممن نقل عنه هذا الإنكار الإمام الشعبي–رحمه الله– يقول الطحاوي –رحمه الله–: "وقد كان قوم ينكرون على من يروي عنه من أصحابه – رضوان الله عليهم – قولهم: سمعت خليلي، وقال خليلي، فممن روي عنه إنكاره ذلك على من كان يقول منهم عامر الشعبي...." ثم نقل قول الشعبي بعد أن قيل

---

(١) فقد جاء عن ميمونة ~ انظر: سنن النسائي حديث رقم: (٦٢٨٥)، وسنن ابن ماجه حديث رقم: (٢٤٠٨) والترغيب والترهيب (٣٧٢/٢) حديث رقم: (٢٧٧٤)، وعن الحكيم بن عمرو الغفاري انظر: المستدرك على الصحيحين حديث رقم: (٥٨٦٧) والمعجم الكبير للطبراني حديث رقم: (٣١٥٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢٣٤/٥).

(٣) فتح الباري (٥٧/٣).

(٤) عمدة القارئ (٢٤٢/٧).

(٥) الديباج على مسلم (٣٤٤/٢).

له : " إن حفصة كانت تحدثنا عن أم عطية فتقول: حدثني خليلي يعني النبي ﷺ فقال الشعبي: هذا من عقول النساء، أولم يقل رسول الله ﷺ قبل موته: (من كانت بيني وبينه خلة فقد رددتها عليه) (ولو كنت متخذا خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً)" [١]

وهذا القول فيه نظر لأمرين:

أولهما: أن الأحاديث التي ورد فيها إثبات الخلة من الصحابة للرسول ﷺ ثابتة وصحيحة، ولا مجال لإنكارها، ولا للقدح بسندها، ولا يسع إلا التسليم بها، وفهمها على ظاهرها دون تأويل.

ثانيهما: ما أثبته أبو هريرة، وأبو ذر، وأبو الدرداء، وغيرهم، غير ما نفاه الرسول ﷺ.

في حديث جندب وغيره، فالرسول ينفي الخلة الخاصة من جانبه لأحد من المخلوقين، وهؤلاء أثبتوا الخلة العامة من محبة له ﷺ وأخوة ومودة وصحبة ومصافاة ونحوها، ولا يلزم من ذلك حصول الخلة من جانبه ﷺ .

يقول ابن قتيبة: " وأما قوله: قال خليلي، وسمعت خليلي يعني النبي ﷺ وأن علياً رضي الله عنه قال له: متى كان خليلك ؟ فإن الخلة بمعنى الصداقة والمصافاة، وهي درجتان: إحداهما ألطف من الأخرى، كما أن الصحبة درجتان: إحداهما ألطف من الأخرى "[٢]

ويقول: "وهكذا الخلة فمن الخلة التي هي أخص قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ وقول رسول الله ﷺ: (لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)[٣] يريد لاتخذته خليلاً، كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وأما الخلة التي تعم فهي الخلة التي جعلها الله تعالى بين المؤمنين " [٤]

ويقول :"وذهب أبو هريرة إلى الخلة التي جعلها الله تعالى بين المؤمنين والولاية فإن رسول الله ﷺ من هذه الجهة خليل كل مؤمن وولي كل مسلم " [٥]

---

(١) شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٧، ٣٨).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص٤١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق (ص٤٢).

ويقول القرطبي -رحمه الله-: " قد عاب بعض الطاعنين على أبي هريرة قوله: (خليلي) في النبي ﷺ، بناءً على أن النبي ﷺ لم يتخذه [1] ولا أحداً من الخلق خليلاً، وهذا إنما وقع فيه قائله ظنا أن (خليل) بمعنى: مخالل، من المخاللة التي لا تكون إلا من اثنين، وليس الأمر كذلك، فإن خليلاً مثل حبيب، لا يلزم فيه من المفاعلة شيء إذ قد يحب الكاره"[2].

* * *

---

(١) يعني أبا بكر رضي الله عنه.

(٢) المفهم (٢/ ٣٦٠).

المبحث الثالث : منزلة الخلة ومقامها:

الخلة أعلى مقامات المحبة، ولها منزلة عظيمة في الدين، وهي من مقامات العبودية، "فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه ونسبتها إلى الأعمال، كنسبة الإخلاص إليها بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يأله العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاء وتعظيماً وطاعة له بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له.

وأصل التأله التعبد والتعبد آخر مراتب الحب يقال عبده الحب وتيمه إذا ملكه وذلله لمحبوبه، فالمحبة حقيقة العبودية وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضى والحمد والشكر والخوف والرجاء وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه" [1] .

وإذا غرست المحبة في قلب المؤمن وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب ﷺ أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، والمحبة لا تحد بحد أوضح منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة[2]

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: " فالمحبة تُلقِي العبدَ في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوفُ يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده فهذا أصلٌ عظيم، يجب على كل عبد أن يتنبه له، فإنه لا يحصل له العبودية بدونه"[3].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣/ ٩).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٩٥).

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أن الخلة: (بمعنى الفقر والحاجة) ثابتةٌ لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام – والمحبة لنبينا محمد ﷺ، وبنوا على ذلك أنّ مرتبة المحبة أعلى وأرقى من الخلة؛ لأفضلية محمد على إبراهيم –عليهما الصلاة والسلام– ، وقد اختُلف في التفاضل بين الخلة والمحبة على ثلاثة أقوال:

أولها: ذهب الجمهور إلى أن الخلة أعلى[1] تمسكاً بقوله ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً...)[2] وكذا الحديث الذي ورد بلفظ: (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي...) [3] فإنه يدل على أنه لم يكن له خليل من بني آدم، مع ثبوت محبته لجماعة من أصحابه، كأبي بكر وفاطمة وعائشة، والحسنين وغيرهم [4]

ونسب القاضي عياض هذا القول للأكثر[5].

ونسبه ابن حجر –رحمه الله– لأهل اللغة فقال:" قال أهل اللغة: الخلة أرفع رتبة..."[6]

وذهب آخرون: إلى أن المحبة أعلى وأرفع، وحجتهم في هذا أن المحبة صفة لنبينا محمد ﷺ، وهو أفضل من الخليل ونسب هذا الرأي إلى ابن فورك [7].

يقول محمد الرملي الأنصاري: " وظاهر الأحاديث يدل على أن المحبة أتم من الخلة؛ لأن سياق الفضائل التي أوتيها نبينا ﷺ يدل على أن كل ما ذكر له أتم فضلا من كل ما ذكر لغيره، وقد اختص بالمحبة كما اشتهر إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بالخلة، فدل على أن المحبة أفضل لأن صاحبها أفضل " [8].

وهؤلاء يستدلون – أيضاً – بحديث رواه ابن عباس ﷺ أن الرسول ﷺ قال: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) [9].

---

(١) انظر: عمدة القاري (٤/ ٢٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٣)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٥١).

(٥) الشفا (١/٤١٢).

(٦) فتح الباري (٧/ ٢٣).

(٧) انظر عمدة القارئ (٤/ ٢٤٥).

(٨) غاية البيان لمحمد الرملي (ص١٣).

(٩) هذا حديث ضعيف، لا تثبته حجة ولا يقوى به دليل وقد أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم: (٣٦١٦)، وقال عنه:هذا حديث غريب، والدارمي في سننه حديث رقم: (٤٧)، وقال ابن أبي العز الحنفي: لا يثبت. انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص١٧٥).

وهذا القول قال به بعض الصوفية[1] لأنهم يتعلقون بكلمة المحبة فهم يعبدون الله بالمحبة وحدها وعبارة السلف – رحمهم الله – فيمن عبد الله بالحب وحده، فهو زنديق[2] غير خافية.

وذهبت طائفة إلى أنهما سواء، فلا يكون الخليل إلا حبيباً، ولا الحبيب إلا خليلاً، لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة [3].

وذكر هذه الأقوال الثلاثة القاضي عياض [4]، والنووي، ونسبها إلى المتكلمين[5]، وكذا أبو العلاء المباركفوري نسبها إليهم [6].

ومقصودي من إيراد هذه الأقوال حتى لا يتوهم أن السلف قد اختلفوا في هذه المسألة، فالرأي الأمثل فيها: أن الخلة أرفع درجة، وأعلى مرتبة، وأشرف مقاما من المحبة – كما مر بنا – فكل خلة محبة، وليست كل محبة خلة، فالخلة أخص من المحبة، والمحبة أعم من الخلة، وهذا ما تؤيده النصوص، وتشهد به الأدلة.

---

(١) الصوفية: فرقة ظهرت في القرن الثالث الهجري، وقد تنازع العلماء في سبب تسميتها بالصوفية ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية أنها نسبة إلى الصوف، وهي فرقة دخيلة على الإسلام، كانت في البداية نزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرقاً مميزة تُعرف باسم الصوفية.

انظر عن الصوفية: اعتقادات فرق المسلمين للرازي (ص١١٠)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٥-٧).

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية (٢١/١٥)، بدائع الفوائد (٥٢٢/٣)، التخويف من النار لابن رجب (١٧).

والزنديق، فارسي معرب، وهو المنكر لأصل من أصول العقيدة، أو يرى رأياً يؤدي إلى ذلك.

وأطلقه كثير من أهل العلم على من بدل دينه وأحدث فيه، وأطلقه الإمام أحمد –رحمه الله– على القائلين بتناقض القرآن، وكتب الفرق لا تطلق للفظ على طائفة معينة، وإن كان صاحب مروج الذهب – وكذا ابن النديم – يطلقه على أصحاب (ماني)، ومعتنقي مذهبه.

انظر: مروج الذهب للمسعوي (٢٥١/١، ٢٥٠)، والفهرست لابن النديم (ص٤٧٢) لسان العرب لابن منظور (١٤٧/١٠) (مادة زندق).

ولمعرفة الكثير عن الزنادقة وبعض فرقها ومعنى الزندقة – قبل الإسلام وبعده – وأصلها، يراجع كتاب: الزندقة والزنادقة، لعاطف شكري أبو عوض (ص١٠٧، ٧٩، ٦٩، ١٢٣، ١١٣، ١٧٢).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥١/١٥).

(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٤١٢/١).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥١/١٥).

(٦) تحفة الأحوذي (٢٠٤/١٠).

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- "وقول بعض الناس أن محمداً حبيب الله، وإبراهيم خليل الله، وظنه أن المحبة فوق الخلة قول ضعيف فإن محمداً - أيضاً - خليل الله، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة.

وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب وخليل، وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها" [١].

وقال في موطن آخر فـ"علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة" [٢].

ويقول ابن القيم: "وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله ومحمد ﷺ حبيب الله فمن جهلهم، فإن المحبة عامة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة"[٣].

ويقول: " وهذا باطل من وجوه كثيرة: منها إن الخلة خاصة، والمحبة عامة فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقال: في عباده المؤمنين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٤] ومنها أن النبي ﷺ نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل، وأخبر أن أحب النساء إليه عائشة، ومن الرجال أبوها، ومنها أنه قال: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا) [٥].

ومنها أنه قال: (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته) [٦] " [٧].

ويقول على برهان الدين الحلبي:" ثم لا يخفى أن قوله ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً) [٨] يدل على أن مقام الخلة ارقي من مقام المحبة، وأن المحبة والخلة ليسا سواء، خلافا لمن زعم ذلك" [٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٦).
(٣) الجواب الكافي (ص١٣٥).
(٤)سورة المائدة : الآية ٥٤
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) روضة المحبين (ص٤٩).
(٨) تقدم تخريجه.
(٩) السيرة الحلبية (٣/٤٥٩).

وقد ذكر القاضي أن أبا بكر ابن فورك نقل عن بعض المتكلمين فروقاً بين المحبة والخلة [1]، وقد نقلها طائفة من العلماء في مصنفاتهم [2].

وأرى أن فيها تكلفاً، فما ذكرناه كاف في الفرق بينهما، ومن وقف على معنى الخلة والمحبة ظهر له الفرق جلياً دون هذا التكلف الذي وجد – أيضاً – في الفرق بين الخليل والحبيب [3].

فالمقصود هو" أن الخلة والمحبة لله تحقيق عبوديته، وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط.لا محبة معه، أو أن المحبة فيها انبساط في الأهواء أو إدلال لا تحتمله الربوبية" [4].

والعجيب أن من جعل مقام المحبة أفضل من مقام الخلة، وربط ذلك بأفضلية محمد ﷺ على إبراهيم، وما علموا أن محمداً ﷺ أيضا خليل الله ؟!

وقد تباينت طرائق أهل الأهواء والبدع في بيان منزلة الخلة ومقامها.

فذهب الروافض[5] إلى أن الإمامة مرتبة فوق النبوة والرسالة والخلة [6].

وقابلهم قومٌ أثبتوا الخلة وبالغوا في إثباتها، وجعلوا تحققها من الله للعبد يُحل له كل شيء دون حرج أو إثم، يقول الملطي مبيناً حالهم: "ومنهم صنف من الروحانية زعموا أن حب الله يغلب على قلوبهم، وأهوائهم ، وإرادتهم؛ حتى يكون حبه أغلب

---

(١) انظر: الشفا (١/ ٤١٥–٤١٧).

(٢) انظر: على سبيل المثال عمدة القارئ (١٦/ ١٧٦)، البداية والنهاية (٦ /٢٧٠).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح (١٠/ ٤٤٣)، وانظر: غاية البيان (ص١٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٥) الرافضة: سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي، حينما توجه لقتال هشام بن عبد الملك وأنكر على أصحابه الطعن في أبي بكر وعمر، فرفضوه بقولهم: إنا نرفضك. فسموا بذلك، وقيل سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم يقولون: بأن الإمامة ركن من أركان الدين منصوص عليها، والأئمة معصومون، وأكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء بعد النبي ﷺ إلى غير ذلك من الأقوال الفاسدة التي تولى الرد عليها علماء المسلمين وتصدوا للقائلين بها أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة النبوية" والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه "الرد على الرافضة"

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩) وما بعدها، الفرق بين الفرق (ص١٥)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٦٥).

(٦) انظر: أصول الكافي للكليني (١/ ١٩٦).

الأشياء عليهم، فإذا كان كذلك عندهم؛ كانوا عنده بهذه المنزلة، ووقعت عليهم الخلة من الله . فحل لهم السرقة، والزنا، وشرب الخمر، والفواحش كلها على وجه الخلة التي بينهم وبين الله، لا على وجه الحلال؛ ولكن على وجه الخلة، كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه، منهم رباح وكليب: كانا يقولان بهذه المقالة ويدعوان إليها"[1].

بل منهم من جعل الخُلة تخلل الشيء في الشيء، وامتزاجهما في الوجود وغيره، فإن الخلة"مشتقة من تخلل الشيء في الشيء، وسمي الخليل خليلاً لتخلل خليله في قلبه، فوجوده مُستَهلَكٌ في وجوده، فإذا تكلم تكلم فيه، وإذا سكت فهو نصب عينيه على كل حال"[2].

* * *

(١) التنبيه والرد للملطي (ص٩٤).

(٢) جامع الأصول في الأولياء للنقشبندي (٢/٢٩٩)، وانظر: روضة المحبين لابن القيم (ص٦٣).

الفصل الثالث: الخلة في حق الناس

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخلة بين الناس وأدلتها.

المبحث الثاني: الخلة النافعة والضارة.

المبحث الأول: الخلة بين الناس وأدلتها:

الخلة خلتان : خلة عامة بمعنى الصداقة والمصافاة والصحبة والمودة ونحوها، وهذه تكون بين المؤمنين، وعلى هذا فالرسول خليل كل مؤمن، وقد تقدم قول ابن قتيبة – رحمه الله– " وأما الخلة التي تعم، فهي الخلة التي جعلها الله – تعالى – بين المؤمنين " [١].

وقوله: " وذهب أبو هريرة إلى الخلة التي جعلها الله – تعالى – بين المؤمنين " [٢].

وخلة خاصة تتضمن معان لا تصح إلا بحق الله تعالى، ولا تقع إلا من الله، كالاختصاص بشيء دون الغير، أو الحاجة والفقر، أو كمال المحبة ونهايتها، أو نحو ذلك من المعاني، وهي خاصة بالخليلين إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام– وقد تقدّم الكلام عليها في الفصل السابق.

أمّا الخلة بمفهومها العام، وبعض اشتقاقاتها فتقع بين جميع الناس مؤمنهم وكافرهم.

يقول القرطبي –رحمه الله– والخلة بين الآدميين الصداقة مشتقة من تخلل الأسرار بين المتخالين، وقيل : هي من الخلة فكل واحد من الخليلين يسد خلة صاحبه " [٣].

ويقول ابن حجر –رحمه الله–: " وقيل : أصل الخلة انقطاع الخليل إلى خليله، وقيل : الخليل من يتخلله سرك، وقيل : من لا يسع قلبه غيرك، وقيل : أصل الخلة الاستصفاء، وقيل : المختص بالمودة، وقيل : اشتقاق الخليل من الخلة – بفتح الخاء – ، وهي الحاجة

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص٤١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٤٠١).

فعلى هذا فهو المحتاج إلى من يخاله، وهذا كله بالنسبة إلى الإنسان، أما خلة الله للعبد فبمعنى نصره له ومعاونته "[1].

فعلى هذا فالخلة بالمعنى المتقدم تقع بين المؤمنين وقد دل على ذلك : الكتاب والسنة وأقوال الأئمة من هذه الأمة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾[4].

ومن السنة: ما أخرجه البخاري عن عائشة ~ قالت : "ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها "[5]

ومنها الحديث المشهور والذي أفاض العلماء في الحديث عنه، وهو ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :(المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[6].

---

(١) فتح الباري (٧/٢٣).

وقصره –رحمه الله– الخلة على النصرة والمعاونة فيه نظر – كما تقدم – فإن هذا لجميع المؤمنين وهو نتيجة خلة العبد لله تعالى، وأثر من آثارها، وربما يكون الوصول إلى هذا المعنى وتحديده بها من تكييفها، فهي من الصفات الخاصة بإبراهيم ومحمد – عليهما السلام – دون من سواهما من الخلق .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٦٧.

(٣) سورة الفرقان: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٣ .

(٥) صحيح البخاري حديث رقم: (٥٦٥٨).

(٦) مسند الإمام أحمد حديث رقم: (٨٣٩٨)، وفي رواية بلفظ (من يخالط) حديث رقم: (٨٠١٥)، والترمذي بلفظ (الرجل ..) حديث رقم: (٢٣٧٨)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب، وأبوداود بلفظ (الرجل ..) حديث رقم: (٤٨٣٣)، والبيهقي من طريقين في شعب الإيمان حديث رقم: (٩٤٣٦)، وحديث رقم: (٩٤٣٨)، قال الحاكم :=

ومنها : ما أخرجه الخطيب عن البراء بن عازب مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى (تفضلت على عبدي بأربع خصال سلطت الدابة على الحبة، ولولا ذلك لادخرها الملوك كما يدخرون الذهب والفضة، وألقيت النتن على الجسد ولولا ذلك لما دفن خليل خليله أبداً ...) [1].

=حديث أبي الحباب سعيد بن يسار عن أبي هريرة صحيح إن شاء الله ولم يخرجاه. انظر: المستدرك حديث رقم: (٧٣٢٠)، وقال ابن حجر : هذا حديث حسن انظر: الأمالي المطلقة (ص١٥١).

وتساهل ابن الجوزي –رحمه الله– فذكره في الموضوعات انظر: العلل المتناهية (٧٢٤/٢)، وقد تعقبه الأئمة وخطأوه. انظر: التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي (٨٩)، المقاصد الحسنة للسخاوي (ص٥٩٦)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعلي القارئ (ص٣١٤)، الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة لمرعي الحنبلي (ص١٠٨)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص٢٦٠)، وكشف الخفاء للعجلوني(٢٦٣/٢)، والحديث رواه عن سهل بن سعد بلفظ (المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له) ابن عدى في الكامل (٢٤٧/٣) قال أبو الفضل العراقي : سنده ضعيف انظر: المغني عن حمل الأسفار (٤٨٢/١)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢٦٣/٢)، والمقاصد الحسنة للسخاوي (ص٥٩٦).

(١) تاريخ بغداد (١٠٩/٩) حديث رقم: (٤٧١٤)، والعلماء قالوا : بعدم صحته؛ لأن في سنده الأشنائي .

قال الخطيب : ما أبعد أن يكون الأشنائي هذا محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن ثابت الأشنائي، فإن له عن ابن معين بمثل هذا الإسناد حديثا آخر انظر: المصدر السابق.

قال ابن الجوزي في الموضوعات (١٦١/٢) هذا حديث لا يصح عن رسول الله ففي سنده محمد بن عبدالله بن إبراهيم ابن ثابت الأشنائي دلسه سعيد بن أحمد، ونقل الدارقطني أنه قال : الأشنائي كذاب دجال ونقل عن الخطيب أنه كان يضع الحديث وضعا فاحشاً، ثم نقل استبعاد الخطيب أن يكون هو راوي هذا الحديث حيث قال : "وما أبعد أن يكون هو الراوي لهذا الحديث لأن له عن يحي ابن معين بهذا الإسناد حديث آخر" وكذا قال أبو الحسن الكناني في تنزيه الشريعة (١٩٦/٢) لكنه ذكر من تعقبه " بأن له طريقاً آخر من حديث زيد ابن أرقم: أخرجه ابن عساكر في تاريخه وله شاهد عن عكرمة موقوفا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره.

وقد أشار إلى هذا التعقب الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص١٥١، ١٥٢) بعد أن ذكر أن في إسناده الأشنائي.

وقد حكم بعدم صحته السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١٣١/٢، ١٣٢) لكذب الأشنائي وتدليسه، وذكر استبعاد الخطيب أن يكون هو راوي هذا الحديث.

وعلى كل حال فالمهم بالنسبة لنا في هذا الحديث وما شابهه في حال ثبوته أن الخلة التي بمعنى الصداقة ثابتة بين الناس – والله أعلم –

وهذا الخبر تكلم فيه العلماء، ولكن على احتمال صحته، فإنه يدل على الخلة بين المؤمنين.

ومما يدل على الخلة بين الناس ما أخرجه الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ " دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر: يا بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر فقال له النبي ﷺ خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل وروي في غير هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة [١] وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك " [٢].

---

(١) يقول الحموي : مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام انظر: معجم البلدان (٥ / ٢٢٠)
وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير بكتاب إلى ملك الروم – أو بصرى – فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني – فقتله – ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره – فاشتد ذلك عليه فبعث البعوث واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فتجهزوا وهم ثلاثة آلاف ... ثم مضوا حتى نزلوا مَعان فبلغهم أن هرقل بالبلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه من لخْم وجُذام وبَلِي وغيرهم مائة ألف فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فشجعهم عبد الله بن رواحة فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم الجموع فانحاز المسلمون إلى مُؤتة ثم اقتتلوا عندها والراية في يد زيد فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم فأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة رضي الله عنهم ثم أخذها عبد الله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه ... فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد فدافع القوم وخاشَى بهم ثم انحازوا وانصرف الناس. انظر: مختصر السيرة (١/١٩١، ١٩٢، ١٩٣).

(٢) سنن الترمذي حديث رقم: (٢٨٤٧)، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب.
ويقول ابن حجر: "وهو ذهول شديد وغلط مردود وما أدري كيف وقع الترمذي في ذلك مع وفور معرفته" انظر: فتح الباري (٧/ ٥٠٢).
يقول الذهبي: "كلا بل مؤتة بعدها بستة أشهر جزما" انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢٣٦).
والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم:(٥٧٨٨)، وابن خزيمه في صحيحه حديث رقم: (٢٦٨٠).

ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، والسيوطي، وغيرهم عن ابن عباس ومجاهد، والشعبي، ومقسم مولى ابن عباس وغيرهم أن عقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف اجتمعا " وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه : بلغني أنك أتيت محمداً فاستمعت منه، والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذبه، فلم يسلطه الله على ذلك فقتل عقبة يوم بدر صبراً .

وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد[1] في القتال، وهما اللذان أنزل الله فيهما، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [2]"[3].

ومنها قول الرسول ﷺ (مثل المؤمن، ومثل الأجل، مثل رجل له ثلاثة أخلاء..)[4]

والحديث يدل بلفظه على ما أردنا، وإن كان معناه في الاستعداد للموت، والحث على التزود بالأعمال الصالحة.

وأما الآثار: فمنها ما أُثر عن علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [5].

---

(١) غزوة أحد كانت بين عسكر الإيمان وعسكر الطغيان، حين اجتمع المشركون وكانوا ثلاثة آلاف، وقائدهم أبو سفيان، وساروا من مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة، وخرج النبي ﷺ في ألف من الصحابة إلى أن صار بين المدينة وأحد، ونزل الشعب من أحد، ثم كانت الواقعة يوم السبت لسبع مضين من شوال في السنة الثانية من الهجرة، وكان يوم بلاء على المسلمين، واستشهد منهم سبعين رجلاً، ووصل العدو إلى رسول الله ﷺ وأصابه حجارتهم حتى وقع وأصيبت رباعيته وشج وجهه. انظر: الكامل في التاريخ (٤٤/٢) مختصر السيرة (ص١٦٠).

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٧.

(٣) مصنف عبد الرزاق حديث رقم: (٩٧٣١)، تفسير ابن جرير الطبري (٨/١٩)، الدر المنثور (٢٥١/٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك حديث رقم: (٢٥١)، الطبراني في الأوسط حديث رقم: (٧٣٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٨١/٤) حديث رقم: (٤٨٨٨).

قال أبو الشيخ الأصبهاني : رجاله ثقات انظر: الأمثال في الحديث النبوي (ص٣٦١)، انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٣٢٨/٧) حديث رقم: (١٠٤٧٦)، والبزار في مسنده حديث رقم: (٣٢٧٢) .

والحديث يروى بألفاظ مختلفة (ما من عبد ولا أمة إلا وله ثلاثة أخلاء ..)، (ولكل إنسان ثلاثة أخلاء) انظر: المستدرك على الصحيحين حديث رقم: (٢٥٠، ١٣٧٥).

(٥) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

قال : " خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال : يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك يا رب، فلا تضله بعدي واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول : ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول : يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك فيقول : نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب قال : ويموت أحد الكافرين فيقول : يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول : بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب " [١].

وهذا الأثر يدل على أن الخلة والتي بمعنى الصداقة والمودة والأخوة ونحوها تقع بين الآدميين، وأنها تكون على الخير والشر، لكن ليس بالمعنى الخاص بها، والذي لا يصح إطلاقه على غير الخليلين إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام –

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي السفر قال : رئي على علي برد كان يكثر لبسه قال: فقيل له إنك لتكثر لبس هذا البرد ؟ فقال : إنه كسانيه خليلي وصفي وصديقي وخاصي عمر، إن عمر ناصح لله فنصحه الله، ثم بكى" [٢].

ونقل ابن كثير عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة قولهم : صارت كل خلة عداوة يوم القيامة، إلا المتقين [٣].

وأمّا كلام أهل العلم في ثبوت الخلة بين الناس فأكثر من أن يحصى[٤]

* * *

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/٩٤)، تفسير بن أبي حاتم (١٠/٣٢٨٥)، تفسير البغوي (٤/١٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٧/٣٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/١٣٤).

(٢) مصنف بن أبي شيبة حديث رقم: (٣١٩٩٧)، وانظره في الشريعة للآجري (٥/٢٣٢٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/١٣٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/١٩٨)، تفسير البحر المحيط (٨/٢٦) زاد المسير (٧/٣٢٧) فتح القدير (٤/٥٦٣) البرهان في علوم القرآن (٣/٢٢٨)

المبحث الثاني: أنواع الخلة بين الناس:

أسلفنا القول بأن الخلة التي تقع بين المؤمنين نافعة بإذن الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهذا ما استثناه الله من خلة الكفار ﴿إلا المتقين﴾ وما أكد عليه الأئمة – رحمهم الله – وأما الخلة التي تقع بين الكفار فلا مصلحة فيها ولا نفع، بل تكون مضرة ونقصا.

ولهذا جاء: إنّ أصح الخلة، وأحسن المودة مالا يورث ندماً ولا أسفاً، كما أخبر الله عن الكفار أهل النار بقوله: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1].

فالخلة إذا صحت أورثت صاحبها شفقة على خلانه وطاعة لربه[2].

" فينبغي للإنسان أن يجتنب معاشرة الأشرار، ويترك مصاحبة الفجار، ويهجر من ساءت خلته، وقبحت بين الناس سيرته "[3].

ولهذا نجد أن الأئمة – رحمهم الله – حثوا على الخلة النافعة، وحذروا من الخلة الضارة.

يقول الطبري عند قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [4] يوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله"[5].

ويقول " يقول جل ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا من معصية ربه في طاعة خليله، لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن وهو الذكر بعد إذ جاءني من عند الله فصدني عنه "[6].

---

(١)سورة الفرقان: الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) انظر: تفسير السلمي (٢/٦١).

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٧٤).

(٤)سورة الفرقان: الآية ٢٧.

(٥) تفسير الطبري (١٩/٧).

(٦) المصدر السابق (١٩/٩).

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله- " فإن المخالة تحاب وتواد، ولهذا قال (المرء على دين خليله) فان المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب، فإذا اتبع أحدهما صاحبه على محبة ما يبغضه الله ورسوله نقص من دينهما بحسب ذلك إلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر"[1].

وعلى هذا فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع أهل الطاعة لله - تعالى - على مراد الله [2] فالمرء على دين خليله، فلينظر من يخالل وفي المقابل لا تجوز مودة أهل البدع والأهواء ولا خلتهم والاقتداء بهم، وتقليدهم والأخذ عنهم.

يقول أبو قلابة : لا تجالسوا أهل البدع، ولا تجادلهم، لا تجالسوا أهل الأهواء، فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

ونقل عن بعضهم قال : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم " [3].

وقد سئل عبد الوهاب الوراق : "يجالس من لا يكفر الجهمية ؟ قال : لا يجالسون، ولا يكلمون المرء على دين خليله " [4].

والآثار في ذلك كثيرة.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: " وهذه الخلطة التي تكون على نوع مودة في الدنيا، وقضاء وطر بعضهم من بعض، تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة، ويعض المخلط عليها يديه ندماً... وهذا شأن كل مشتركين في غرض يتوادون ما داموا متساعدين على حصوله، فإذا انقطع ذلك الغرض أعقب ندامة وحزنا وألما، وانقلبت تلك المودة بغضاً ولعنةً وذماً من بعضهم لبعض، لما انقلب ذلك الغرض حزنا وعذابا كما يشاهد في هذه الدار من أحوال المشتركين في خزيه إذا أخذوا وعوقبوا، فكل متساعدين على باطل متوادين عليه لا بد أن تنقلب مودتهما بغضا وعداوة [5]

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٢٧/١٥).

(٣) انظر: الاعتصام (١٣٠/١).

(٤) الورع لابن حنبل (ص٨٩).

(٥) مدارج السالكين (٤٥٥/١).

أما أتباع الأنبياء، فهم لهم أخلاء بالمعنى العام لها، لما ورثوه عنهم من توجيه وهداية ورشاد.

يقول شيخ الإسلام: " وهكذا ورثتهم من بعدهم اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص، لا على خيال فلسفي ولا رأي قياسي، ولا غير ذلك من الآراء المبتدعات لا جرم كانت الدائرة والثناء الصدق والجزاء العاجل والآجل لورثة الأنبياء التابعين لهم في الدنيا والآخرة، فإن المرء على دين خليله "[1].

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٤).



الخَــاتِمَــة:

أحمـد الله تعـالى، وأشـكره علـى إفـضاله وإحـسانه، حمـداً وشـكراً يليقـان بجلالـه وعظيم سـلطانه، فلـه الحمـد والفـضل والمنـة علـى مـا يـسر مـن إتمـام هـذا البحـث، الـذي أحسب أني بذلت فيه جهداً يستحقه، وقد كانت أهم نتائجه وخلاصة مباحثه كما يلي:

- الخلة صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة على ما يليق بجلاله وعظمته، وقد اختص الله بها الخليلين – عليهما الصلاة والسلام–.
- الخلة لها اشتقاقات متعددة، منها ما هـو مختص بـالله تعـالى، ومنهـا مـا هـو ممكـن بحـق النـاس مـؤمنهم وكـافرهم، ومنهـا مـا هـو عـامٌ بمعنـى الـصداقة والمـودة والمصافاة والأخوة ونحوها، وهذه تكون بـين النبـي ﷺ وبـين الـصحابة وغيـرهم مـن المؤمنين، وتكون بين الكافرين – أيضاً –.
- الخلـة بـين المـؤمنين، ووفـق مـا أمـر الله ورسـوله، تكـون نافعـة فـي الـدنيا والآخـرة، وخلة الكافرين في الـدنيا تتحـول إلـى عـداوة وبغـض وكراهيـة يـوم القيامـة، وربمـا تكون في الدنيا عند الاختلاف والتنازع.
- الرسـول ﷺ نفـى الخلـة الخاصـة عـن أبـي بكـر ﷺ وأثبـت لـه الخلـة العامـة بمعنـى الأخوة والمودة والمصافة ونحو ذلك.
- الخلة أخص من المحبة، فكل خلة محبة ولا عكس.
- الخلة أعلى وأرقى درجات المحبة، فهي كمال الحب ونهايته، ولا عبرة بمـن خـالف في ذلك.
- صحة اتخاذ الصحابة لمحمد ﷺ خليلاً، ولا إشـكال فـي مـا جـاء عـنهم مـن قـولهم: أوصاني خليلي أو سمعت خليلي أو نحو ذلك ولا يعارض ذلك امتناعه من اتخاذ أبي بكر خليلاً.

هذا وأسأل التوفيق والإعانة، وإصابة الحق، وأن نكـون مـن أخـلاء النبيين والـصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



فهرس المصادر والمراجع:

١- أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي، تحقيق أحمد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ.

٢- أخبار المدينة المنورة ، تأليف: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٧هـ .

٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي عبدالملك الجويني، تحقيق أسعد تميم، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

٤- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، تأليف: نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، طبعة دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٣٩١هـ .

٥- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لمحمد بن درويش بن محمد الحوت البيروتي الشافعي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.

٦- أصول الكافي، لمحمد بن يعقوب الكليني، طبعة دار الأسوة بإيران ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ .

٨- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مكتبة الكليّات الأزهرية بالقاهرة، سنة ١٣٩٨هـ.

١٠- إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٧م.

١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

١٢- أقاويل الثقات، لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق شعيب الأرناؤط، طبعة مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٦هـ.

١٣- إكمال الأعلام بتثليث الكلام، تأليف: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، طبعة جامعة أم القرى، المملكة السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ.

١٤- الأمالي المطلقة، تأليف: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ

١٥- البحر الزخار، المعروف بمسند البزّار،لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي البزّار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ.

١٦- بدائع الفوائد، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، سنة ١٤١٦هـ.

١٧- البداية والنهاية، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، طبعة مكتبة المعارف، بيروت.

١٨- البرهان في علوم القرآن، تأليف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٩- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي، تحقيق بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠- تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق عمرو العمروي، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٩٥م.

٢٢- تأويل مختلف الحديث، تأليف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، طبعة دار الجيل، بيروت، سنة ١٣٩٣هـ.

٢٣- التبيان في تفسير غريب القرآن، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ.

٢٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- التخويف من النار، لابن رجب الحنبلي، طبعة مكتبة دار البيان بدمشق، سنة ١٣٩٩هـ.

٢٦- التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد السعوي، طبعة مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ.

٢٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.

٢٨- تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تأليف: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق: سيد عمران، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ .

٢٩- تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ .

٣٠- تفسير القرآن العظيم، تأليف: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، طبعة دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠١هـ .

٣١- تفسير القرآن: اختصار النكت للماوردي، تأليف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، طبعة دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ .

٣٢- تفسير القرآن، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، طبعة المكتبة العصرية، صيدا.

٣٣- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ.

٣٤- التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد، للعلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة ١٣٨٧هـ.

٣٥- تمهيد وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ

٣٦- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لعلي بن محمد بن علي بن عراق الكناني أبو الحسن، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، عبدالله محمد الصديق الغماري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٧- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تأليف: الفيروز آبادي، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان.

٣٨- تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، سنة ١٩٩٦م.

٣٩- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

٤٠- التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، طبعة مكتبة الإمام الشافعي، بالرياض، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٨هـ.

٤١- الثّقات، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

٤٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تأليف: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

٤٣- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ.

٤٤- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة.

٤٥- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبعة دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ.

٤٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧- حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٤٨- الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٩- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٥٠- دراسة عقدية لبعض الصفات التي يُدّعى أنها من باب المشاكلة، للأستاذ الدكتور / يوسف بن محمد السعيد، ضمن مجلة جامعة الإمام العدد (٣٢).

٥١- الديباج على مسلم، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، طبعة دار ابن عفان، الخبر، سنة ١٤١٦هـ

٥٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٣- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م .

٥٤- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ.

٥٦- الزندقة والزنادقة، لعاطف شكري أبو عوض، طبعة دار الفكر ، الأردن بعمّان.

٥٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة (المجلد الأول والثاني)، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ. (الثالث) الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ. (الرابع) الدار السلفية، الكويت، والمكتبة الإسلامية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ. (الخامس والسادس) مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٤١٧هـ.

٥٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٩- سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ببيروت.

٦٠- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٦١- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٦٢- سّنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدّارقطني، طبعة دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٨٦هـ.

٦٣- سنن الدارمي، للإمام عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ.

٦٤- سنن النسائي الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٦٥- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدّمشقي، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

٦٦- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، طبعة دار المعرفة، بيروت سنة ١٤٠٠هـ.

٦٧- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي الدمشقي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة.

٦٨- شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي يحي بن شرف بن مري النووي، دار إحياء تراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٦٩- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.

٧٠- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجرى، تحقيق عبدالله بن عمر ابن سليمان الديجي، دار الوطن بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٧١- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٧٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي اليحصبي المالكي المعروف بالقاضي عياض، تحقيق جماعة، طبعة دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٧٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتّعليل، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ.

٧٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٤هـ .

٧٥- صحيح ابن خزيمة، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٩٠هـ .

٧٦- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفي ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٧٧- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٨- صحيح مسلم، مسلم بن حجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٩- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي المكي، تحقيق د. عبدالرحمن التركي وكامل الخرّاط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.

٨٠- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق الدكتور: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨١- الطبقات الكبرى، تأليف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، طبعة دار صادر، بيروت.

٨٢- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .

٨٣- عمدة القاري شرح البخاري، للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٤- غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، تأليف: محمد بن أحمد الرملي الأنصاري، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٨٥- فتح الباري، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٨٦- فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، طبعة دار الفكر، بيروت.

٨٧- الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، طبعة دار الصميعي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٨٨- الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٨٩- الفهرست، تأليف: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، طبعة دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ.

٩٠- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ .

٩١- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف: الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: د . محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الثالثة طبعة دار الوراق، الرياض، ١٤١٩هـ .

٩٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبدالرؤوف المناوي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

٩٣- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام محمد أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، طبعة دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٩٤- الكامل في التاريخ، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥هـ.

٩٥- الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩هـ .

٩٦- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، تأليف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة الدار السلفية، بومباي ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨هـ

٩٧- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، طبعة دار الكتاب العربي، لبنان، سنة ١٤٠٣هـ.

٩٨- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥هـ.

٩٩- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ.

١٠٠- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، تأليف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ .

١٠١- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ .

١٠٢- لسان العرب، لابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة ودار الكتاب ببيروت.

١٠٤- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة النبوية.

١٠٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الاولى، سنة ١٤١٣هـ.

١٠٦- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.

١٠٧- مختصر السيرة، تأليف: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب ، طبعة مطابع الرياض الطبعة الأولى.

١٠٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٣هـ.

١٠٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ .

١١٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار المعرفة.

١١١- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

١١٢- المستطرف في كل فن مستظرف مجلدين، تأليف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ .

١١٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة قرطبة، مصر.

١١٤- المصنف، للحافظ أبي بكر عبدالرّاق بن الهمام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١١٥- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

١١٦- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، تأليف: أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، طبعة دار عالم الكتب ، بيروت .

١١٧- المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبدالمحسن بن إبرهيم الحسينى، دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ.

١١٨- معجم البلدان، لياقوت الحموي، طبعة دار الفكر، بيروت.

١١٩- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء الحديثة، بالموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٢٠- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٢١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين، طبعة دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.

١٢٢- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

١٢٤- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٢٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج الجوزي، مطبعة دار المعارف العثمانية، بحيدر أباد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٨هـ.

١٢٦- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، تحقيق محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

١٢٧- الموافقات في أصول الفقه، تأليف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق: عبد الله دراز، طبعة دار المعرفة، بيروت.

١٢٨- المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي، طبعة عالم الكتب، بيروت.

١٢٩- الموضوعات تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، تحقيق: توفيق حمدان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ.

١٣٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م.

١٣١- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد الكتاني، طبعة دار الكتب السلفية، بمصر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

١٣٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدِّين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٣٣- الورع، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ

* * *